لندن ١٢/ ٩/ ٧٣

الحلول الفردية لا تجدي

أكتب وجسدي ما يزال يرتجف قهرا وغضبا مثل أرنب جلد للتو ، وقد انسحبت منذ دقائق من قاعة (رويال ألبرت هول) الموسيقية .

كنت هناك ، جالسة في مقعدي استمع الى الحان تشايكوفسكي بعد ان قاسيت الكثير للحصول على بطاقة . . لا ، لم أكن جالسة في مقعدي . . . بل حولتني الالحان المسحورة الى كومة من الريش الملون المضيء ، ونفختني في سماء القاعة المستديرة كبئر الاساطير ، وطرت من بين آلاف الجالسين المسحورين مثلي ، وخرجت من كوة في اعلى السقف قرب النجفة الى الفضاء الواسع . . . رحلت الى امكنة بعيدة وعانقت وجوهاً هربت مني في شوارع الزمن واختفت . . . والى مغاور ذاتي عدت وقد بدأت انبش عنها الصدأ لاستخرج من اعماقي اردية الحب التي طال هجري لارتدائها . .

وفجأة ، حانت مني نظرة الى برنامج الحفل الموسيقي وفوجئت بأن قائد الفرقة الموسيقية اسرائيلي . اسمه « يواف تالمي » ومن مواليد اسرائيل كما يقول الكراس .

وهويت من شاهق متعتي الى أرض الواقع والحقيقة . . . ان من يقرأ تاريخ حياة « يواف تالمي » والفرص التي توافرت له والجوائز التي تم منحها له يدرك مدى دعم الصهيونية العالمية لتصنيع جيل من قادة الاوركسترا الاسرائيليين وزرعهم في مختلف اصقاع العالم كجزء من لعبتهم الاعلامية وخديعتهم للعالم بادعاء التحضر والرقي الفني ، في حين تمارس اسرائيل في بلادنا عدوانيتها واعتداءاتها على ابسط القيم الانسانية . . . وها هو « يواف تالمي » يقود الاوركسترا الفلهرمونية الجديدة البريطانية . . وفي الاسبوع نفسه يقود الاسرائيلي « آفي اوسترويسكي » الفرقة السمفونية البرمنغهامية البريطانية ، ونظرة سريعة الى تاريخه الموسيقي تؤكد مدى الدعم المخطط الذي لقيه من مراكز القوى الصهيونية لاحلاله ورفيقه الاسرائيلي الآخر في هذا المركز الحضاري ، ليمارسا امام الشعوب لعبة الرقي ، بينما يمارسون في بلادنا ابشع وسائل العدوان .

ووجدتني انسحب من الحفل ، ولكن ما جدوى ذلك ؟ . . عشرات الآلاف من

Akhawia.net

الحضور قد قرأوا الكراس كما فعلت وانطلت عليهم الكذبة ، ورسخ في اذهانهم لا شعوريا ان في اسرائيل رقيا انسانيا سلميا بدليل انجاب قادة اوركسترا وهو أمر له اعتباره العظيم في اوروبا . . . وذكرني انسحابي البائس من الحفل بذلك الطبيب الياباني الذي قرر أن خطر التلوث يهدد العالم ، فدمر سيارته ، وابتاع حمارا وصار يستعمله في تنقلاته بدلا من السيارة وذلك كي يساهم في حل مشكلة التلوث ! . .

ان الحلول الفردية لا تجدي . انها تظل أقرب الى صرخات احتجاج الاطفال ، وخطب مجانين (الهايد بارك) الذين يريدون تغيير العالم بخطبة . . .

وما اشبه موقفي ، وموقف الطبيب الياباني وحماره بموقف عدد كبير من زعمائنا العرب . . . يغضبون . يهددون ، يحزنون . يخطبون . لكنهم لا يملكون خطة موحدة ولا حتى تصور خطة موحدة لمواجهة اغتصاب أرض وتشريد شعب .

وحتى تلم شعث تمزقاتنا العاطفية خطة . . ستظل مواقفنا من اسرائيل من حيث جدواها كموقف الطبيب الياباني من حكاية التلوث !!

Akhawia.net

٧٣/١٢/٢٤

حكايات الى الأمير الصغير

الى بشار . ع

حين ركبت الطائرة في مطار بغداد ، بعد رحلتي الخاطفة اليها ، كان صدري مليئا بالاصوات والصور والالوان العراقية ، وقلبي يخفق مثل حمام زاجل يمتعه ان يطير بالكلمة في الصحو والمطر . . وقررت : هذا الاسبوع سأروي لقرائي حكاية عراقية حلوة ، عريقة عراقة الصحراء بين كربلاء والنجف ، مضيئة كالمآذن والقباب الذهبية في مقر (قمر بني هاشم) ، ملتهبة مثل افران الطابوق (الآجر) على جانبي الدرب ، أليفه وملونة مثل البرتقال تحت المطر في كربلاء ، شفافة مثل اسراب الطيور التي كانت تحلق في افق بادية العراق مواكبة سيارتنا . . وحين حلقت الطائرة فوق لبنان ثم البحر ، كانت خيوط « مقالي » قد تجمعت نهائيا في صدري ولم يبق غير ان افرغها على الورق لاستريح .

ولكن . .

منذ بدأت الطائرة تحليقها فوق بيروت بدأ الوجع . . الوجع الذي ينسي الانسان كل الكلمات الحلوة كما ألم الضرس يسلب من فم العاشق كل قصائد الحب . ولم يكن وجعي فيزيولوجيا ، ولذا فانه لم يكن متركزا في عضو واحد وانما كان وجع الروح والنفس ، الذي يستولي على الجسد بأكمله ، وعلى الذاكرة . . .

فمن الطائرة شاهدت مرفأ بيروت مزدحما كالعادة بالسفن التي تنتظر دورها لتفريغ حمولتها ، ازدحاما هائلا جشعا لان بيروت تحب ان تستأثر بأرباح المرفأ وتصر على ان تكون الميناء الوحيد في لبنان في حين تغمر البطالة ميناءها الثاني المهمل المنسي في طرابلس . . . طرابلس قلب العروبة النابض في لبنان ، المدينة التي يسكنها المناضلون والطيبون والتي عبثا تغطي رائحة زهر الليمون فيها رائحة الفضائح التي يرتكبها الحكام في حقها !

تذكرت « المعرض الدولي في طرابلس » الذي اهترأت ابنيته ولم يتم افتتاحه ، والميناء المقهور المحروم من كل اهتمام رسمي او تحسينات انشائية حديثة بحيث يكف مرفأ بيروت عن الاصابة بالتخمة في حين يذوي مرفأ طرابلس جوعا . . . وتذكرت كم وكم كتبت وكتب سواي عن طرابلس الرائعة المهملة ، وكيف تضيع ابدا صرخاتنا في مهرجان

Akhawia.net

بيع الوطن بالمزاد العلني !

وغمرني احساس موجع ! ان اصبع الديناميت هو الحل . وهو في اليد أمضى من قلم الحبر في هذا الزمن الرديء .

* * *

الطائرة تحوم فوق بيروت . .

هاهي غابة من الحجارة تنتظرنا في الأرض لتتلقفنا باسنانها التي تضغط باستمرار على صدغينا . ها هي بيروت مدينة تختنق ، فالمساحات الخضر داخل المدينة تتضاءل وتتضاءل وتلتهمها الابنية . ليس في المدينة حديقة عامة واحدة تذكر . هنالك رقعة شبه مخضرة وفسيحة وفارغة من الابنية . ربما كان ذلك هو ميدان السبق الذي رصدت ملايين الليرات لاصلاحه ! لماذا لا يحول هذا المكان « الشرير » الى حديقة عامة يتنفس فيها سكان المدينة قبل ان يختنقوا نهائيا ؟ .

ليس في الدنيا كلها مدينة حديثة بلا حديقة عامة غير بيروت . ومن هنا كان سبب رواج الاطباء النفسيين في بيروت . فيينا التي أحرقتها الحرب (والتي متوسط دخلها القومي فقير كمتوسط دخلنا) اصلحت حدائقها العامة بعد الحرب قبل ان تصلح بيوتها . لندن التي تضم حوالي ١٠ ملايين شخص تعتبر حديقتها العامة « هايد بارك »مقدسة .لماذا لدينا كل فظاعات الحياة المعاصرة ، من زحام سير وكاباريهات وحبوب منومة ومنبهة وعشرين دار سينما وغلاء وقسوة حياتية ورخص انساني يتزايد يوما فيوما على حساب قيمنا الروحية ، من دون اي من مزايا الحياة المعاصرة ؟ لماذا نستورد كل امراض الحضارة ولا ننعم بشيء من مزاياها ؟ اننا نختنق واطفالنا يختنقو ن ، وها هي الطائرة تهبط بي في مطار بيروت ، واقرر : سأنسى ذلك كله لاكتب عن العراق !

ولكن . .

* * *

المظاهرات تملأ الشوارع . . . والتاكسي الذي يحملني من المطار الى البيت عبثا يجد طريقه . . والشعب الغاضب خرج الى الشوارع من اجل الحرية واللقمة والعدالة والكرامة . . . انها الحكاية القديمة نفسها التي تكررها الشعوب باستمرار ويعجز حكامهم عن فهمها الا بعد فوات الاوان . . (ترى هل استطاع لويس السادس عشر ان يفهم لماذا ثار شعبه غير لحظة مست المقصلة عنقه ؟ وهل وعى دماغه معنى ما دار في فرنسا غير لحظة طار رأسه تحت المقصلة ؟؟ .)

Akhawia.net

لبنان يلتهب . . ورأسي يلتهب . . وعبثا اعيد الى قلبي ذلك الشعور العميق بالسلام والسكينة (شعور من دفن وجهه في صدر تاريخه وبدأ يشمه ويتحسسه) وانا ارقب النخيل والخضرة بين بغداد وكربلاء . واسراب الابل تعدو في الساحات الشاسعة ، والمطر يغسل كل شيء كمن ينفض غبار الزمن عن كتاب تاريخي عريق ، والضباب يلف البادية والخضرة بشفافية مؤثرة فيبدو كل شيء مسحورا مثل حلم داخل الكرة البلورية لساحرة تستحضر الماضي العظيم ! . . غابات النخيل وبيوت الشعر وجزر الرمال في المطر و « سيلويت » الرعاة على الافق . . صور كثيرة طالما شاهدتها على غلاف علبة تبغ فضية اهديت الينا ذات مرة من العراق وكانت تسحرني في صغري . وها هي الصور تنبعث حية امامي في المدى الشاسع ، وها انا جالسة اكتب . . احاول عبثا استحضار اصوات تلك الرحلة وحكاياها الحلوة العذبة ولكن رأسي يلتهب لان لبنان يكاد يلتهب . وهنا لك من ينشد أنغام الغضب الساطع والانفجار المحتوم .

* * *

الى « الامير الصغير » في بغداد اكتب هذه الكلمات . . . ورغم احزاني كلها اكتب اليك لانني وعدت بذلك ولا استطيع ان اخلف وعدا مع اعوامك العشرة المليئة بالنبل والصفاء والتي لما تلوثها قذارة هذا العالم ، عالم الكبار . . .

كانت عيناك بركتي عسل وشعرك من ذهب وانت تقول ببراءة : « انت التي ارى صورتك في المجلة ! . . اكتبي عني . . قولي اي شيء . . »

يا صغيري الامير الذهبي ، يا اميري القادم من كوكب اخر (امير قصة سانت اكزوبري) ، الكبار يريدون مني ان اكتب عنهم لكن احدا لا يقول لي ذلك صراحة ! كلهم يراوغون ،يداورون ، يصلون الى اغراضهم بوسائل ملتوية كثيرة .وحدها الطفولة تقول ما تعنيه ، وتعني ما تريد . وتريد ما تريد !

يا اميري الصغير ، كنا في نادي الصيد في بغداد ، مجموعة من الكبار اكلنا الزمن وسحلنا في دروبه ، ومجموعة من الصغار (انت واخوتك) بكل نقاء الطفولة ونبضها ووعدها بالعطاء ، وحولنا كانت هنالك حيوانات محنطة نادرة هي من معروضات نادي الصيد . . فما اشبهنا نحن الكبار بتلك الطيور والذئاب المحنطة المحيطة بنا ! اجنحتنا مثل اجنحتها لن ترف بعد اليوم . . . . عيوننا مثلها تثبتت نظرتها في اتجاه واحد ولم تعد قادرة على سبر غور الافاق البعيدة في كل الاتجاهات لاكتشاف حقائق جديدة . . وكما هي مثبتة على حواملها ، كذلك نحن الكبار تثبتنا نهائيا في اطاراتنا الاجتماعية والتزاماتنا

Akhawia.net

وصارت تحركاتنا محددة اكثر من تحركات حتى دمى المسرح !

يا اميري الصغير . .

كنا في احد النوادي ، كبار سقطوا في شرك الحياة ولم يعد في وسعهم مطاردة غزال الحقيقة المراوغ الراكض في غابات الابدية ، وصغار ـ انت واخوتك ـ لكم وحدكم امكانية متابعة صيد الفرح في عالمنا الحزين . . يا اميري الصغير الذي عيناه عسل وشعره ذهب وضحكته مهرجان ونكاته محاولة نبيلة لدفع الدم في عالم الكبارالمحنط. اريد ان اسر اليك بحكاية صغيرة . .

في العراق كلمتان ، بقدر ما احببت احداهما بقدر ما كرهت الاخرى . .

احببت كلمة « عيني » يقولونها لك باستمرار ، يكسرون بها عنك شرنقة الغربة التي نحسها نحن الكبار في عالمنا الذي فقد الوان قوس القزح الذي يلون عالمكم . . « صباح الخير » عيني ـ اهلا عيني ـ حاضر عيوني ـ هالو عيني تسمعها من عاملة الهاتف في الفندق التي لم تر لها وجهاً ، فتحس بان العراق يفتح قلبه لك ويمنحك اغلى ما لدى الانسان : عينه .

والكلمة التي كرهتها هي كلمة « الجهال » . انهم يسمون الاطفال في العراق« بالجهال » ، ولو انصفوا يا اميري الصغير لاسموا كل من تجاوز سن الطفولة « بالجهال » فالمآسي التي تدور في عالمنا العربي يصنعها الكبار« الجهال » لا الاطفال النبلاء مثلك . . . ولكن الكبار ،كعادتهم، يتحاملون على كل ما لا يشبههم ولا وقت لديهم لفهمه ، فاغفر لهم . وانا اعرف انك ستفعل ، فالطفولة وحدها تملك النسيان والغفران ،

والى اللقاء يا اميري الصغير حين تكبر وتصير فعلا من « الجهال » واغفر لحكاياتي الحزينة ، لكن قيثارة جيلنا مجرحة . ونفسي حزينة حتى الموت ! .

Akhawia.net

بغداد ١/ ٣/ ٧٤

في بينال بغداد

حينما يستولي الليل على مدينة بغداد ؛ ويجلو الناس عنها الى مدن النوم ، وتفرغ الشوارع تماما ، يصير في وسعك ان تلحظ الحياة تدب في تماثيلها المنصوبة في الساحات ، وفي هدأة الليل تنحسر عن عينيك غشاوة مشاغلك اليومية والركض والزحام . . . ويصير في وسعك ان ترى ما تبصر . . . وتسمع همس التماثيل وصراخها .

ها هي مرجانة ، مرجانة علي بابا والاربعين حرامي ، مرجانة الاساطير العربية وخوابيها الاربعين ، تتوسط احدى الساحات ، وتسكب من خوابيها العسل ؟ لا ، بل حكايا التراث العربي الغابر . . . فاذا انصت جيدا ستسمع شفتي التمثال المتقن الصنع (ابدعه العراقي محمد غني) ترويان لك الحكاية القديمة . . . وقد تسند رأسها الى صدرك وتبكي قليلا اذا كنت حنونا ! (كان علي بابا يحب المال اكثر من حبه لها ؟!)

تابع المسير مع النواسيين والشعراء المشردين وعشاق الليل الدراويش . .

ها هو ابو نواس على ضفة دجلة يروي اشعاره . . اجلس امام قدمي التمثال واغمض عينيك وانصت . . واذا دعاك لتناول الشاي معه (على طريقته الخاصة) فاذهب ولا تحص الاقداح ! . .

تابع المسير الى ساحة التحرير . ها هو نصب الحرية يسبح امام عينيك في الضوء الاصفر مثل الرؤيا . . . على قاعدة طولها خمسون مترا سترى حكاية الرجال المكافحين من اجل الحرية على مر التاريخ . رجال من البرونز ابدعهم فنان العراق الراحل جواد سليم في اضخم نصب نحتي في بغداد منذ ٢٥ قرنا . . سترى ملحمة الانسان من اجل الخلاص ، ستسمع اصواتهم ، وقد تسيل على وجهك قطرات من عرقهم ودمهم . .

وحتى اذا كنت مسافرا ، سيطالعك عباس بن فرناس في دربك الى المطار . . سيطير عن قاعدته الحجرية ويحلق في الجو دون ان يسقط او ينكسر جانحاه . . سيحلق ، ومعه ستحلق في اجواء العطاء الرفيع للفن العراقي المعاصر .

حتى عابر السبيل في بغداد لا يملك الا ان يشعر بحركة الفن التشكيلي المعاصرة الناهضة فيها .

Akhawia.net

ستطارده تماثيلها في الشوارع طوال الليل ، وستتسلل الى دروب احلامه . وفي الصباح سيجد نفسه مساقا ، ولو بدافع الفضول ، للبحث عن متاحفها . . . ولن يخيب امله .

أبجدية الفن العراقي

قد يكون من الافضل ان نبدأ الحكاية من اولها . . ان نبدأ من متحف اثارها القديمة القديمة ، خلاصة المناخات الحضارية التي تعاقبت على ارض العراق والتي هي دونما شك المادة الخام في لا وعي الفنان العراقي - بل وفي وعيه - يستلهمها ويرسل جذوره الجديدة في تربتها القديمة الثرية انسانيا . ستـرى الاثـار السومـرية والاكادية والبـابلية والكلـدانية والاشورية والاسلامية والعباسية ، وستتساءل معي : ترى هل كان بيكاسـو اشـوريا ؟ ففي جناح المنحوتات الاشورية ، الهائلة الحجم ، ستقف معي امام الثور المجنح لتجده نموذجا لما حاول بيكاسو خلقه في لوحاته من حيث « وحدة الرؤية » . . .

وامام تمثال من النحاس وجد في نينوى (الحقبة البابلية) وجدتني اتساءل : ترى هل عاش جياكوميتي ، الفنان الكبير المعاصر ، منذ الاف السنين في نينوى ثم بعث حيا في اوروبا بشخصه الحالي ؟ هل هو « تناسخ الارواح » مثلا ؟! .

المجوهرات والقلائد من المقبرة الملكية في اور (٢٤٥٠ قبـل الميلاد) ستـذهلك بمعاصرتها من حيث الروح والالوان والاشكال ، حتى لكأنها « هيبية » ! . .

ولن ننسى ابدا ذلك التابوت الذي له شكل الرحم (٤٠٠ قبل الميلاد) . انه قصيدة شعرية منحوتة في الصخر يلخص الحكاية كلها ، من الرحم الى الرحم . . من رحم الام الى رحم الموت . . . من الغموض الى الغموض .

باختصار ، ان من يدخل متحف بغداد لا بد وان يخرج منه واعيا مدى التنـوع والاصالة الفنية لنتاج الحضارات التي تعاقبت على ارض العراق ومعجبا بالقدرة المدهشة لدى تلك الاقوام على التفرد والخلق الفني المبدع حتى المعاصرة ، تلك الارضية التراثية الغنية التي ينبت في تربتها عطاء الفنان العراقي المعاصر .

بينال العراق . .

حينما تغادر المتحف الذي يضم قديم العراق ، ستبحث عن المتحف الذي يضم حديثها لترى ماذا فعل الفنان العراقي المعاصر بنفسه وبتراثه .

ستتجه الى معرض كولبنكيان حيث تجد عادة صالة عرض دائمـة للفـن العراقـي المعاصر الى جانب معرض دوري لاحد الفنانين .

Akhawia.net

لكنك اليوم ستجد تظاهرة فنية عربية ضخمة هي بينال العراق او « معرض السنتين العربي الاول في بغداد » ، وهو معرض دوري يقام كل سنتين مرة ـ « بينال » ـ وصار تقليدا دوليا . « انه يقام للمرة الاولى في بلد عربي » ، وقد انبثق عن مؤتمر الفنانين التشكيليين العرب الذي عقد في العراق في العام الماضي (١٩٧٣) .

يشترك في المعرض لهذا العام اكثر الدول العربية : فلسطين ، سورية ، لبنان ، مصر ، الجزائر ، الكويت ، تونس وغيرها . . . وقد وجهت الدعوة الى عدد كبير من النقاد العالميين المعاصرين ورؤساء تحرير كبريات المجلات الثقافية لمشاهدة هذه التظاهرة العربية .

متحف . . . لي وحدي

شاءت الظروف ان ازور المعرض قبل افتتاحه . الجناح العراقي وحده كان كاملا ، اما بقية اللوحات العربية فكان بعضها ما زال ملفوفا « بثياب السفر » . وقد استثارت فضولي هذه اللوحات المغلفة كثيرا ، واحسستها مثل عالم سري يختبىء في داخل صندوق مقفل .

متحف لي وحدي ! . .

وانا اتجول في القاعة الهائلة بين نتاج ١٠٥ فنانين عراقيين شعرت بالذنب ، مثل انسان يستأثر بوليمة هائلة . . وحده !

والذي يريد ان يعبر الى عالم الفن العراقي المعاصر لا بد له من المرور بالجسر الذي اسمه تراثها ، اي لا بد له من المرور بمتحفها القديم القديم ، فعظمة الفن العراقي المعاصر تكمن في استيحائه الاصيل للتراث . وتأثره الحديث بالتيارات الغربية والمعاصرة هو تأثر معافى وشديد الوعي والحذر . فهذا الفن يهضم التيارات المختلفة ويفيد منها ، ولكنه ايضا يتجاوزها ليظل محتفظا بهويته الخاصة الاصلية . كما انه يمتاز ببعده الاصيل عن الصالونية والضحالة . لقد نجح الفنان العراقي ، بصورة عامة ، في الدمج بين التراث والتجديد ، بين العراقي والعالمي . ونحن نجد في اعمال الفنانين العراقيين تأثيرات اشورية وبابلية واسلامية الى جانب تأثيرات معاصرة اخاذة .

هذا بصورة عامة . . والمعرض يضم نماذج لرواد الفن العراقي المعاصر ، امثال حافظ الدروبي ونوري الراوي وخالد الجادر وشاكر حسن ونزار سليم ونزيهه سليم (اشقاء فنان العراق الخالد جواد سليم) وغيرهم .

ولكن ، لنتجول في الجناح العراقي بتمهل . . انه يستحق ذلك .

Akhawia.net

ابرز ما في المعرض ان الشرط الاساسي له هو ان تكون الاعمال المعروضة فيه جديدة تمثل الفنانين في مراحلهم الحالية ، في لوحة او ثلاث لوحات .

تتوالى اللوحات والاسماء المعروضة :

فرج عبو الذي شهدته بيروت في معرض مستقل فيها .

تركي عبد الامير وعالمه الصحراوي .

لوحة لخالد الجادر ، نقيب الفنانين . لم ينته منها ، ولا بد ان تشعر بالغصة امامها لان مرض القلب جعل الاطباء يحرمون عليه اتمامها . . . وها هي كسيمفونية غير منتهية امامك تذكرك بالفنان العزيز المريض .

تتوقف طويلا امام لوحات حافظ الدروبي وتتذكر تاريخه الطويل مع العطاء . .

تتوالى اللوحات والاسماء . .

محمد علي شكر واحساسه اللوني الحاد المذاق . . .

اسماعيل الشيخلي والريف العراقي و « كونتراست » الملابس القروية الملونة مع خضرة الارض او حمرة التربة كالدم النابض داخل قماش اللوحة . .

نزار سليم والملامح البغدادية والعطاء الذي يذكرك بابداع شقيقه العظيم . .

ما هود احمد سيلفت نظرك بعناق التراث في لوحاته مع ملامح العصر الحادة : عوارض حديدية وبراغ . .

شاكر الشادي الذي بدأ اسلوبه يتضح ويتميز برموز حضارية يتعانق فيها الماضي بالحاضر . . تقف طويلا امام الدوامة ، لوحة الشاعر شفيق الكمالي . خضرتها حزينة وقاتمة وتحار هل هي خضرة الربيع ام الدمن !؟ . .

وهذه السلاسل التي تكبل المرأة العربية في اللوحة تحسها تضغط على عنقك . تكاد تشهق اختناقا لولا بصيص نور في قاع اللوحة : خيوط ضوء تشق طريقها اليك وسط الغاز السام للقيود وترى عبرها بسمة تفاؤل . . . شفيق الكمالي الشاعر هو شاعر في رسمه ايضا ، ولوحته قصيدة مكتوبة بالالوان ، ورؤية شعرية القى القبض عليها داخل لوحة .

توقفت امام اعمال محمد عارف واحببت لون الفجر فيها وتطلعاتها الملحمية ، والبومة فيها (وانا اعشق البوم) . .

ستار لقمان وشجرة الخطيئة وامرأتان ، ورؤياه المميزة . .

حسن عبد علوان تقطر من رموزه الشعبية الف ليلة وليلة وما بعد الف ليلة وليلة في

Akhawia.net

شفافية حالمة . . .

فؤاد جهاد نجح في مزج التأثرات الواسطية بالبيزنطية . .

ليلى العطار حققت في المعرض تطورا من رسومها للجسد العاري الى رسمها للقلب العاري والموت العاري وما زالت محافظة على خصوصيتها اللونية الاخاذة . .

صادق سميسم يطالعك برؤ ياه السريالية . وفي احدى لوحاته سيف عربي (السيف العربي الشهير الذي قرأنا عنه في الكتب والاشعار) وقد تدلت منه ورقة كتب عليها : « للبيع » ! .

ها هو راكان دبدوب باسلوبه المميز الذي يستوقفك فتتمنى لو رأيت له من قبل . .

سعاد العطار حققت ايضا تطورا عن اعمالها السابقة ، وامرأتها المختبئة في الغابات لا تجدها للوهلة الاولى ثم تلحظ انها هي الشجرة ! في لوحتها البنية ـ العسلية حزن وشفافية . وتطورها نحو حلم متقشف وصلب ، نحو الصلابة الشرسة والالم المضيء ، يستحق التوقف . .

ويدهشك سعدي الكعبي بمهارته اللونية حتى لتظن اللوحة « سيراميك » ! .

وعلي طالب بابعاده الجوية وشفافيته

وعامر العبيدي بصحرائه البيضاء وتقنيته في استعمال اللون الابيض وتفجيره لامكاناته وطاقاته . . .

وصلاح جياد بنخلته الاشورية وفلاحيه . . .

وجودت حسيب بلوحته السوداء الشرسة المأساوية الرفض . .

والدكتور طارق مظلوم بمسائله الميثولوجية : جلقامش واسطوريات عراقية في عالم خصب الوجوه . .

هنا فيصل اللعيبي وانطباعيته الماهرة . . ومنحوتة للفنان المدهش خالد الرحال ، المقيم في روما . .

ونوري الراوي ، الذي احببت اعماله القديمة ذات المناخ القروي الاسطوري يعرض لوحات تمثل تطوره وتجاربه الحالية : مسائل فضائية تتضمن تطويرا في الاسلوب لمواضيعه السابقة . وتظل تجد في لوحاته الرموز الشعبية كالحمام على جثة الشهيد ، والقمر الاسود حدادا ، والاحمر الدامي الذي يذكرك بالاستشهاد . . .

شاكر حسن ، من الرواد في الفن العراقي ، يعرض هذه المرة تكوينات الجدرانيات وعالمها الخاص الذي هو مرآة للحياة حولها . . . والى جانبها اكثر من لوحة رقيقة فيها

Akhawia.net

صوفية رقيقة . . .

اسماعيل خياط . . جعفر علي الزنك . . رزاق العزاوي . . شوكت الربيعي . . . غازي السعودي . . . الدكتور خالد القصاب . . . سليمان البصري . . سالم الدباغ . . اسماء واعمال تثير فضولك . . .

يحيى الشيخلي تتذكر انك رأيت بعض رسومه قبلا ثم تتذكر ان ذلك كان في ديوان البياتي الجديد « سيرة ذاتية لسارق النار » . .

فائق حسين ، المقيم في اسبانيا والذي استطاع ان يكون لنفسه هناك مكانة فنية جيدة ، تتمنى ان ترى المزيد له ، فيعدونك بمعرض خاص يعده مباشرة بعد « البينال » وتستطيع عبر لوحاته الخمس ان تلحظ مأساوية انسان العصر وغربته الموحشة . . .

عبد الاله السياب كربلائي المناخ . .

نزيهة سليم مدهشة في تزجيج اللون على النحاس .

أين الناصري والعزاوي

رغم هذه التظاهرات الفنية الضخمة عدديا لا تملك الا ان تلحظ غياب رافع الناصري وضياء العزاوي والسمرجي والجميعي ، ذلك الفراغ الذي لا يعوض لان اصحابه في طليعة المبدعين العراقيين ولان لكل منهم اسلوبه المميز وعطاءه العملاق . وتقرر ان تسأل عن سبب الغياب ـ ثم تقرر ان غيابهم خسارة ايا كانت الاسباب !

منحوتات العراق

جناح المنحوتات اصغر حجما واقل عددا من اللوحات ، لكنه يمتاز بكثافة ابداعية (ومتى كان الابداع كماً لا كيفاً) ؟! .

ستجد عمالقة العراق في النحت : محمد غني وخالد الرحال واسماعيل فتاح وكاظم حيدر . وسيلفت نظرك عمل شرس لصالح القرغولي ، مادته الاولية من خيوط بيوت الشعر (الخيام) ـ وهي مادة محلية صرفة ترمز الى التراث ـ ممزوجة برماح حادة مدببة حديدية في تكوين شديد القوة . .

مؤيد الناصر له منحوتات مرمرية متميزة جدا . .

ولعبلة العزاوي تكوين شفاف ومبتكر ومريح للعين . .

كاظم حيدر ، الذي عرى الزمن ولعب باجزاء من ساعات قديمة ، اعاد تنظيمه ودمر رتابته . .

وهنالك ايضا منحوتة لمحمد الحسيني ، خشبية تبدو كما لو انها جاءت من قلب

Akhawia.net

الغابة بعد ان نحتتها يد الطبيعة .

حميد العطار يحطم الجدار بين الرسم والنحت في تراجيدياته وملاحمه . . .

محمد مهر الدين تلفتك قدرته على خلق جو الاستشهاد والتضحية والمأساوية .

« السيراميك » العراقي يستحق التوقف ايضا ، ولا سيما امام اعمال سعد شاكر ومقبل الزهاوي (مقيم في جنيف) وقريش داود (مقيم في لندن) وغيرهم . . .

ولعل ابرز ما في تظاهرة العراق هو انها تضم اعمالا لفنانين عراقيين موجودين في الخارج (وقد ساعدهم بلدهم ماديا على شحن اعمالهم) مما يغني العطاء العراقي ويرفده بمنابع ابداعية هامة . .

فلسطين ! . .

« بينال » العراق لا تستطيع ان تراه دفعة واحدة . جناح العراق وحده يستحق اكثر من زيارة . . ولكن الظروف التي حتمت علي زيارته قبل الافتتاح هي نفسها التي اضطرتني الى مشاهدة كل شيء في يوم واحد . .

وسألت عن جناح سورية ولم يكن قد وصل بعد واسفت لذلك .

جناح فلسطين وصل ولم يعلق بعد ، وها هي اللوحات على الارض تضطرك الى الانحناء لتراها ، وقد تركع امام بعضها ! لوحات لجمانة بيازيد باسلوبها المتميز البديع ، ولوحات جيدة لنيلى الشوا وتمام الاكحل واسماعيل شموط ، وهذان الاخيران لم ار اعمالهما منذ زمن بعيد واشتقت اليها . .

لبنان . . اين ؟

وجناح لبنان يتضمن لوحات لوجيه نحلة ، عارف الريس ، هيلين الخال ، حسين ماضي ، موسى طيبا ، حسن جوني ، حليم جرداق . . . وكلهم من الاسماء اللبنانية الجيدة ، ولكنني افتقدت اسماء اخرى احسست ان وجودها كان ضروريا لتمثيل الفن في لبنان تمثيلا اكمل واشمل . .

الكويت توقفت طويلا امام لوحاتها واحزنني انها المرة الاولى التي اطلع فيها على اعمال كويتية ! لفتت نظري اعمال يوسف القطامي واحمد عبد الرضى ، محمد الصالح وعبد الله القصار ، وعيسى صقر وابراهيم اسماعيل وامين محمد احمد الصالح ، وتمنيت لو ارى المزيد من نماذج اعمالهم لاكون قادرة على النفاذ اليها والتواصل بها .

أهمية « البينال »

انها اول مرة ارى فيها اعمالا كويتية ، وعدنية ، ومغربية ، وجزائرية ، وغيرها من

Akhawia.net

الاعمال الفنية العربية مجتمعة . . ولست الوحيدة طبعا . ومن هنا يتخذ مهرجان « البينال » في بغداد اهميته القصوى . انه يساعد على تعريف المثقفين العرب بما يدور في بقية الاقطار . انه خطوة عملية حقيقية في درب الوحدة الثقافية .

ثم ان العراق قام بدعوة ابرز النقاد العالميين لتعريفهم بالفن التشكيلي العربي الذي لا يقل اصالة وابداعا عنه في اقطار العالم الاخرى ومن خلال الجيد من لوحاتنا سيتلمسون ملامح الانسان العربي الجديد وقضاياه وكفاحه وجدارته ، وبذلك يقدم العراق للعالم العربي الفني مناسبة لا تعوض لتثبيت وجود عربي فني ضمن تيارات الفن العالمية والتجارب المعاصرة .

الجمعيات . . .
والفنانون العرب

« بينال » العراق ساهم بصورة غير مباشرة في تفجير النزاعات بين الفنانين والاتحادات الفنية (او الجمعيات او النقابات) في اكثر الاقطار العربية . . .

فقد وجهت العراق الدعوة الى مختلف الفنانين العرب عن طريق هيئاتهم التي يفترض انها تمثلهم (جمعية الفنانين او اتحادهم او نقابتهم) وهو امر اعترض عليه بعض الفنانين العراقيين ايضا وكانت وجهة نظرهم ان عددا كبيرا من المبدعين العرب قد لا يكون منتميا الى الاتحادات .

نوري الراوي ، مدير المعرض في بغداد وأحد اعضاء لجنة « بينال » بغداد ، يرد بقوله : « اضطررنا الى توجيه الدعوة الى الاتحادات لان المشاكل القطرية بين الفنانين العرب ليست من اختصاصنا نحن » .

قال فنان عراقي مبدع لديه اعتراضات على « بينال » العراق : « كان من المفروض ان ندعو الفنانيين العرب المبدعين وان لا نبالي بالاتحادات حين تريد معرضا ذا مستوى جيد يجب الا تهتم بالصيغ الرسمية . »

يرد الراوي : « هذا غير ممكن بالنسبة الى الاقطار العربية ، فقد كادت تحدث ازمة بيننا وبين بلد عربي ، وكاد ينسحب وفدها باكمله (وارسلوا لنا اربع برقيات احتجاج متأزمة !) لمجرد اننا فكرنا في دعوة شخص معين ! اننا لا نستطيع ان نخسر دولة بسبب فنان ، وليس ذنبنا اذا وجدت في الاقطار الاخرى حساسيات وتأزمات . نحن البلد المضيف ، وقد فتحنا قلبنا لكل الاقطار العربية » . قلت للراوي : «هنالك اعتراض على الكثرة العددية للوحات العراقية ، وهنالك رأي كان يفضل ان يكون جناح العراق معادلا

Akhawia.net

من حيث العدد لاي جناح عربي آخر . ما رأيك ؟ » .

قال : « في « بينالة » فينيسيا كانت الاجنحة الايطالية تعادل بل تفوق كل اجنحة بقية الدول المشتركة . هذا تقليد تتبعه كل الدول المضيفة للمهرجان . اننا لم نقدم كثرة عددية فنية وانما تم اختيار اللوحات انطلاقا من مقاييس فنية صارمة . ليس ذنبنا اذا كانت حركة الفنون التشكيلية في العراق مزدهرة والمبدعون كثر . . . وعلى اية حال قد نقع في اخطاء جزئية مرحلية ، لكن المهم هو ان البادرة ككل ايجابية وهامة وضرورية ، وقد استطعنا تنفيذها » .

الفنان العربي . . . والسلطة

قد يكون من اهم منجزات « بينال » العراق هو تفجير الخلافات بين الفنانين والسلطة في مختلف الاقطار العربية ، وتحريك الماء الراكد بين بعض تجمعات الفنانين وبقية المبدعين « المستقلين » . . .

اعتقد بان « بينال » العراق ستكون له ذيول فنية في مختلف الاقطار العربية ، وسيؤدي الى نسف بعض الاتحادات او الى تقوية روابطها مع « المستقلين » ، حسب صلاحيتها للبقاء وامكانية اصلاحها او عزلها النهائي ـ وهذا امر جيد وضروي . واسوأ ما يمكن ان يحدث هو ان لا تتبدل الاشياء وان يتحجّر المبدعون و« بينال » العراق تجديد للدم الفني العربي وللصراع الفني العربي . . . والصراع دوما محفز ومنشط .

« بينال » عربي دائم

المهم ان يستمر هذا المهرجان الفني في السنوات المقبلة ، وان تتكامل هذه الظاهرة الايجابية التي تبناها العراق هذا العام ، وان يجد الفنان العربي دوما مكانا لائقا يضمه وناقدا يفهمه ومتفرجا يحبه . . . يدخل الى لوحاته ولا يخرج منها . . يسمع نبضها وصراخها ويشم رائحة عالمها . . .

فالدم في حاجة الى شريان . . .

واللوحة في حاجة الى جدار . . .

والفن العربي في حاجة الى « بينال » عربية دائمة .

Akhawia.net

برلين ٩/ ٣/ ٧٤

سمكة وحيدة

عالم ما تحت الماء هو الامل الـوحيد المتبقي للانسان .
« جول فيرن » .

ماذا تفعل حين تجد نفسك وحيدا في مدينة اوروبية ، وقد قذفت بك ظروف العمل في وسطها دون انذار ، وحيدا وحيدا مثل دمعة ؟ . .

ستفعل مثلي . . .

ستتسكع طويلا . ستمر بك الاف الوجوه التي لا تعرفها . ستحدق بك النوافذ المغلقة المعادية ، وستحس ان خلف كل نافذة عشرات الناس والحكايا ولكنك مرمي خارجها . . . مقذوف عن مدارات اهلها ، واذا سقطت فجأة ميتا فلن يتوقف امامك احد غير السيارة التي تنوح وهي تكنس الموتى من الشوارع .

برلين . . .

وانا وحيدة كأمنية مستحيلة التحقيق .

سرت طويلا في الشوارع ، وكان المطر يجلد كل شيء . لم امر قط في برلين الا وكان المطر لي بالمرصاد ، واذا شاهدت هذه المدينة ذات مرة في اشعة الشمس فلن اعرفها ، ستبدو لي مثل مدينة جديدة ، مثل وجه لم اره قط الا عابسا يبسم لي للمرة الاولى .

برلين . . .

ها انا جالسة في المقهى اتظاهر بالانشغال عن وحشتي بتصليح عيار السكر في قدح قهوتي . . . الواجهات المزروعة في وسط الشارع تعرض مايوهات الصيف ، ومشهد المايوهات المصنوعة للشمس ، والمطر يغسلها والضباب يرتديها طريف !

تمر بي نساء غارقات في الضحك وكلابهن في ثياب ملونة مزركشة . برلين ، مدينة الكلاب والمظلات والرجال الشديدي الوسامة ، تمضي امام عيني وانا عبثا اتسلل الى ايقاعها المرح . .

حينما اكون وحدي في مقهى تقفز ذاكرتي لتحتل المقعد المواجه لي وتنبش حساباتها معي . . . تنفجر اشياء العقل الباحث عن حقيقة ، والقلب الباحث عن حب . . .

Akhawia.net

واهرب الى الشارع يخترقني المطر ببطء ولكن باستمرار ، يستولي علي ببطء ولكن باستمرار ، الجلد اولا ثم اللحم فالعظم ثم يستولي تماما على دهاليز روحي . . .

واهرب . . .

اقرر ان اهرب الى عالم آخر . . . الى اي مكان ارفع فيه « كابلات » دماغي ، واغلق ادراج الذاكرة ، ومثل ملاح طموح متعب ارمي بمرساتي لانام استعدادا لرحيل اطول . .

اين اهرب الى غير اعماق البحر ؟ . اهجر عالمنا الارضي وامضي الى غالم تحت الماء المسحور ؟ . .

في برلين ، اكثر من اية مدينة اوروبية اخرى ، هذا متوفر بفضل « الاكواريوم » او مجموعتها المدهشة للاحياء المائية .

مدينة الاسماك

المفروض انني في حديقة حيوانات مختصة بالاحياء المائية « اكواريوم » .

لم اشعر بانني في حديقة حيوانات . . . فالمكان شبه مظلم ، وداخل احواض مائية تعوم الاسماك على مختلف انواعها بصمت مثير . واحسست انني اعوم مثلها في ظلام القاعة ، اتلصص عليها ولكنها هي ايضا تتأملني وتتلصص علي وتفعل ذلك مجانا ! داخل الاحواض المائية المضاءة والمدفأة تسبح مختلف انواع الاسماك بصمت رائع ، وفي عيونها سلام خرافي الهدوء ، وفي الخارج يقع عالم الضوضاء والكبار والصغارمن زوار المعرض . امشي واتأمل عظمة الطبيعة وتنوعها في تنوع الاسماك . . .

والاسماك كالبشر . . .

بعضها يشبه الخنازير ، وبعضها يشبه الفراش ، ملون وشفاف كاحلامنا عن الملائكة . . .

وداخل الاقفاص ، يدور ما يشبه مشاهد حياتنا : اسماك تتلاصق ، تتعانق ، يحب بعضها بعضا ، واخرى تتنافر ، تتصارع ، يسكنها الحقد والطمع . . . اتأمل قتال بعضها . . . فيه وضوح وصراحة ، ولا يشبه غدر البشر واتقانهم لذلك في حالات الصداقة ! .

وقبل ان اتابع جولتي في المكان المسحور ، جلست قرب احد المصابيح اقلب كراس المتحف والخص لكم اهم ما ورد فيه (بنظري !) :

Akhawia.net

يقول الكراس

« تم انشاء احواض السمك التابعة لحديقة الحيوان في برلين الغربية في شهر آب (اغسطس) من العام ١٩١٣ . وقد انشئت هذه الاحواض تحت اشراف خبير الاسماك وحيوانات البحر الدكتور العالم الفريد بريهم . وفي البداية كانت الاحواض تحتوي على اسماك مختلفة الانواع : ثعابين بحرية ، ضفادع وبعض انواع التماسيح . وكانت الاحواض تحتوي على نوعين من المياه ، اي مياه البحر المالحة والمياه العذبة ، كي تتمكن من العيش فيها مختلف انواع الحيوانات المائية وكانت المياه العذبة تضخ من مكان قريب منها بينما مياه البحر تنقل من مدينة هامبورغ الى برلين . وفي الواقع فقد كانت احواض السمك في حديقة برلين تحتوي على حوالى ٤٠٠ من انواع السمك والحيوانات البحرية ، وكانت بذلك من اهم احواض السمك في العالم كله . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وفي يومي ٢٢ و ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ١٩٤٣ انهالت القنابل من طائرات الحلفاء على احواض السمك فتم تخريبها كليا (واستشهاد) جميع الحيوانات الموجودة فيها .

وبعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب بدأ العمل في تصميم جديد لاحواض السمك في حديقة حيوان برلين تحت اشراف خبراء اميركيين والمان . وفي العام ١٩٥٢ انتهى العمل في الاحواض الجديدة ، لكنها لم تكن تحتوي على اكثر من مئة نوع من الاسماك والحيوانات المائية . غير ان طموح المسؤ ولين في حديقة حيوان برلين لم يكتف بهذا الانجاز وكانت التحسينات التقنية والفنية تتم بصورة متواصلة في الاعوام التي تلت الافتتاح . وفي هذه الاعوام اقيمت مصاف ضخمة تستطيع ان تنقي كمية من مياه البحر والمياه العذبة مقدارها ٢٨٥ الف ليتر . كذلك اقيمت الات خاصة للتحكم بحرارة المياه و اكراما لعيون الحيوانات المائية الاستوائية والقطبية .

وبعد التحسينات المتواصلة اصبحت اليوم احواض السمك في حديقة حيوان برلين تحتوي على معظم انواع الحيوانات المائية ، ابتداء من السمك الصغير الحجم جدا وانتهاء بانواع الحيتان والتماسيح الكبيرة ويقدر عدد هذه الانواع بحوالي ١٤٠٠ نوع تعيش في ٤٤٠ حوضا مائيا مختلفا ، فلا تتأثر بذلك لكونها تعيش في اماكن واحواض مكيفة بالطرق الفنية حتى تشابه اماكن عيش هذه الحيوانات الاصلية . »

فلنغلق الكراس ، ولنتابع جولتنا في المكان معا . . . في الظلمة والدفء ، نسبح في جو الدهاليز كما تسبح احياء هذا المكان . . .

Akhawia.net

ها هي سمكة ملونة لها عين حقيقية في رأسها الذي يشبه المهماز ، وعين مزيفة في ذيلها العريض (طورتها الطبيعة بهذه الصورة كي تحار السمكة الكبيرة من اين تبتلعها واي الطرفين هو رأسها) .

وها هي السمكة « الانف » التي سميت هكذا لأن لرأسها شكل الانف البشري .

ها هي سمكة « الحصان » التي تسبح منتصبة كما يمشي الرجل وتفوح من مظهرها وحركتها الخرافية روائح اساطير الاغريق ومناخهم . . .

نقطع ممرا ،

وربما ننتقل طابقا ، ها هي عظاية شبيهة بأغوانة المكسيك وقد اشتق اسمها « بازليك » من اسم وحش اسطوري ناتج عن بيضة ديك حضنها ضفدع ! ثم عظاية اخرى تتبدل الوانها الزاهية وفق المحيط ويدعونها بالعامية « مخدة الحية » .

ها هو علجوم صغير جميل ولطيف تفرز حبيبات ظهره الملونة مادة سامة لدى الخطر .

الجو الأدبي ؟ . .

لسبب اجهله توقفت امام احد اقفاص الافاعي . . . كان فيه ما ذكرني بالجو الادبي في بلادي . . . افاع تتعانق تارة ، ثم يفح بعضها في وجه الاخر بحنق مرعب (ام تراهما يتغازلان بشكل فني ؟ !) ومع ذلك ففي القفص المجاور مجموعة من الافاعي والسلاحف معا ، يضمها « بيت » واحد ، ويبدو انها تتعايش معا بشكل جيد . متى يكتشف البشر لغتها فيتوصلوا الى بعض من التعايش السلمي حتى بين افراد المدينة الواحدة ؟!

هنالك ايضا مجموعة من السلاحف المتعايشة مع التماسيح . تأملتها طويلا

وتساءلت : ترى هل سر سعادتها هو بلادة السلاحف وبطؤها ؟ هل التناقض المطلق احيانا يوحد بين الناس ؟ . .

في القفص المجاور اسماك ضخمة وقد رمي اليها للتو بوجبتها . واتأمل وجبة طعامها واذا هي مؤلفة من الاسماك الكبيرة ! وبدأت الاسماك الكبيرة تأكل الاسماك الصغيرة ، تماما كما يحدث في عالمنا السياسي والبشري وحتى العاطفي . وبدأت الذاكرة تعود الى فعاليتها في دماغي وتفتح كل نوافذها لتطل منها وجوه ووجوه ، احداث واوجاع سياسية عامة وفردية خاصة . . .

السمك الكبير يلتهم الصغير !

في قفص قريب ارى الافا من الاسماك الصغيرة الصغيرة التي تكاد واحدتها تعادل

Akhawia.net

رأس الدبوس . . . اتأملها جيداً : كل سمكة منها كوكب قائم بذاته . . كون من الفرادة والالوان والحركة المميزة . . اولئك هم الناس العاديون ، ملح البشر ، لا شيء فيهم عاديا سوى كثرتهم ، وكل منهم رائع ومتفرد بلا ضجة ولا اعلانات ولا استعراضات (اولئك هم احبابي) .

ها انا امام غابة ضخمة استوائية مسورة بالزجاج ، وفي الداخل تفور تماسيح مرعبة ومن الزجاج تفوح الحرارة . تمساح يقترب من الزجاج الذي يفصل بيننا ، يتأملني ثم يفتح شدقيه مبتسما لي بود ، وانا ارد تحيته بمثلها ويضحك مني الاوروبيون ! . .

هنالك اقفاص ومشاهد تدور فيها مشاهد نادرة من الحب ومشاهد هائلة من العنف ، يزعق امامها حتى الاوروبيون الكبار (كما لو ان ما يدور خارج « الاكواريوم » اقل عنفا ! كأن الحيوان هو وحده الحيوان . . . اما نحن . . يا نحن ! . .)

عالم الماء أجمل من عالم التراب

بعد الطابق الاول المخصص للاسماك المختلفة والساحر الظلمة والصمت ، وبعد الطابق الثاني حيث الغابات الاستوائية ، انتقل الى الطابق الثالث حيث الحشرات .

والحشرات بشعة . . .

عالمها مرعب . صراصير الكونغو وحشرات تونس تفور في اقفاصها ، والعقارب والرتيلاء وام ٤٤ والعناكب والجراد الافريقي كلها يقذف بك الى عالم صحراوي الرعب والقسوة والافتراس . وتحس حلقك جافا وقلبك شديد الوحشة كأنك يتيم حتى من « الام السراب » ! تقارن بين حشرات افريقيا واوروبا ، فتجد الافريقية تمتاز عن الاوروبية بالوضوح . . . ابرتها اللاسعة اكثر وضوحا واكثر بروزاً ، سوداء اللون بلا « كاموفلاج » ولا اقنعة . الحشرة الاوروبية الوانها اقل تخويفا لكنها غادرة وتتقن اخفاء اسلحتها . . .

ولكنك تحس بالحنين الى عالم ما تحت الماء . . . فالاسماك اجمل من الحشرات وعالمها اكثر مهابة . . . عالم ما تحت الماء مسحور ومدهش لا كعالم ما فوق التراب . . وتتذكر بغصة حكاية العبقري جول فيرن في قصته « الجزيرة الغامضة » حين قال على لسان بطله : « عالم ما تحت الماء هو الامل الوحيد الباقي للانسان » ، وتشعر بحنين للرحيل الى رحم الماء اللزج الدافىء الذي عرفناه ذات يوم قبل ان يقذف بنا الى وجه التراب ، بعيدا عن الفرح الى الابد . .

يضيق صدري واهرب من جديد الى مدينة الاسماك . . . ادور بينها . . .

لبعضها شوارب وزعانف ملونة كأنها ترتدي قمصانا مزخرفة وكأن كل ما يفعله

Akhawia.net

الانسان هو ان يقلد الحيوان .

واتأمل وجوه الاسماك واجسادها وارى فيها وجوه اصدقائي واعدائي وكل معارفي : خنازير وفراشات . وجوه غاضبة . ووجوه متسامحة . وجوه خبيثة . شرسة . بريئة . لئيمة . اجتماعية . برية . ووجوه ووجوه . . واحس بانني لم اسافر ، ولم ارحل ، ولم ادخل الى مدينة الاسماك وانما دخلت الى مدينة والتقيت فيها كل الذين التقيت بهم على طول ايامي وعرضها . . .

اين انا ؟ ايهم انا ؟ . .

اخرج من حقيبتي مرآتي ، وحين انظر فيها ارى وجه سمكة وحيدة ! . .

Akhawia.net

برلين ١١/ ٣/ ٧٤

ولو فتشوا رأسي لصادروه

برلين الغريبة .

السادسة والنصف من صباح الاحد ، وانا اتجه الى مطار « تمبلهوف » والنعاس ما يزال يمتلكني . . . حتى زخات المطر عبر نافذة التاكسي المفتوحة لم تفلح في ايقاظي . . .

كانت ساعاتي في برلين حلما سريعا ، ولم اكن انوي ان اصحو منها بسرعة . . . كنت في طريقي الى فرانكفورت . . . فلماذا لا يستمر الحلم خلال فترة الطيران القصيرة بين برلين وفرانكفورت ؟

وفي ذلك الصباح المبكر بدا كل شيء وديا واليفا . . . الوردة البرية التي قدمها لي صبي المصعد في فندق « كمبينسكي » مودعا ، رائحة تبغ السائق ، وابتسامة الحمال ، وترحيب موظف شركة الطيران بزبونة الصباح الأولى في المطار . . . وتلفت حولي . كان استرخاء عام يلف جو المطار في تلك الساعة المبكرة ، والتثاؤب المرتسم على الافواه يجعل كل شيء مطمئنا بعيدا عن التوتر الاوروبي المشهور . . .

ولكن ،

حين تناول موظف « بان اميركان » جواز سفري ، وقرأ انني عربية لبنانية قطع تثاؤبه ، وبدا عليه انه استيقظ تماما . وحين قرأ انني من مواليد دمشق ، وسورية الجنسية قبل زواجي ، جحظت عيناه واستيقظ الهاتف الموضوع امامه كما لو كان اسم سورية اصبع ديناميت مشتعل الفتيل ! ونطق ببعض كلمات بالالمانية التي اجهلها ، وكانت له لهجة انسان يبلغ عن وقوع حريق او لهجة شخص يتسلق شرفته رجل ملثم ! . . وكما لو انفجرت قنبلة توتر في المكان ، انطلقت كهارب التوتر من الذين حولي . . . وبلمح البرق احاط بي عملاقان جرمانيان بملابس مدنية ، تنبىء عضلاتهما المفتولة عن طبيعة مهنتهما ، وانقض الاول على حقيبتي واوراقي وآلة تصويري لتفتيشها بينما تولى الاخر حراستي ! . . وانصبت العيون كلها على شعري الاسود وبشرتي السمراء التي تعلن هويتي « العربية » ، ترقبني بفضول وتحفز . . .

وحدث ذلك كله بسرعة تكنولوجية مدهشة ، وتهذيب بارد .

Akhawia.net

وتحول نعاسي كله الى دهشة . اجل دهشة . وبكل بساطة ، اخرجت المرآة من حقيبتي لأتأمل وجهي . . . هل فيه ما يستدعي هذا « الاستفسار » ؟ ! . لم تكن لي اية اسنان طويلة متدلية كمصاصي الدماء ، ولا مخالب ، ولم اكن اعقد شعري بعظمة بشرية كما يفعل آكلو لحوم البشر ، ولم اشاهد في المرآة سوى وجه كملايين الوجوه العربية السمر . . . ولعل الشرطي اعتبر اخراج المرآة في مثل هذا الموقف نوعا من الاستخفاف بحضورة وبرودا لا يليق بالواقفين بين يديه ، لذا تقدم مني لتفتيش حقيبتي اليدوية . . . وكان فيها القلم الذي اكتب الآن به (اصبع ديناميتي الخاص) ولكنه لم يلحظه ولم يصادره ! . . وكان فيها بطاقتي الصحافية ولم يلحظها .

وبالتهذيب نفسه ، اخذ احدهم جواز سفري ومضى به الى غرفة ما . . . لقد فتشوا حقيبتي ولم يجدوا فيها شيئا ، لكنهم لم يفتشوا رأسي . (ولو فعلوا لصادروه فورا) . وعاد الرجل بعد دقائق بجواز سفري واعاده الي بكل لطف . . . وما كادا ينسحبان حتى جاء رجل شرطة ، بالملابس الرسمية هذه المرة ، طالبا ايضا جواز سفري . . . ومضى به الى غرفة تعج برجال الشرطة . . .

وشعرت بالفرح . . . بفرح حقيقي طاغ ! ... لقد تجولت في اوروبا بعد هزيمة ١٩٦٧ طويلا ، وكنت اشعر في المطارات بخجل عظيم حينما يفتح موظف الامن جواز سفري ليجد انني عربية ، ويتم ختمه بلامبالاة ودون اهتمام ، كما لو كنا ذبابا يعبر الحدود . . . بل كان بعضهم يتعمد تذكيري بهزيمة اسرائيل لنا في ستة ايام ، وكان من الصعب ان اقول له في تلك الظروف ان الشعب العربي لم يحارب يومئذ اصلا كي يهزم ! . .

وها هو أي جواز سفر عربي اليوم كفيل باثارة التوتر في اي مطار غربي . . . واخذت اروح جيئة وذهابا امام باب غرفة الشرطة ، والشرطة في الداخل ، وجواز سفري معهم ، وتلفونات تقرع واخرى تصمت ، وكانت ابتسامة عريضة تملأ وجهي . . ابتسامة فخر وفرح . . . (ربما كانوا يظنونني اخفي بابتسامي خطة جهنمية لخطف طائرة مثلا ، فازدادت شكوكهم وتحرياتهم . ربما ظنوا برودي هذا ستاراً من قوة الاعصاب ، ولكن كيف اشرح لهم انني كنت سعيدة حقا لمعاملتهم هذه وفخورة بها) ؟ ! .

وحتى حينما بدأت حفلة التفتيش او (الستربتيز الرسمي) قبل الصعود الى الطائرة ، لم يضايقني ان الشرطية الموكل اليها امر ذلك اخذت توقيع (اوتوغراف) كاتبة المانية كانت تقف امامي ، دون ان تفتشها ، لكنها حرصت على تفتيشي باتقان بحفلة

Akhawia.net

تعرية (ستربتيز) شبه كاملة ! . .

وحتى لحظة الصعود الى الطائرة ظلت « عين حارسة » ترصدني . . كنت ابدو فرحة اكثر من اللازم ، مثل شخص نجح في تهريب سلاح فتاك ، وكانوا بطريقة ما على حق . . . فقد كنت عربية نجحت رغم سنوات من القهر والتشكيك والاذلال في « تهريب » شعورها بالعزة والكرامة ، والمحافظة على ثقتها بنفسها وبشعبها العربي العظيم . . .

ذلك هو السلاح الذي استطعنا تهريبه من بين ايدي الجميع . . . انه سلاح الشعب العربي كله ، سلاح العزل وغير العزل . . . سلاح الايمان بامكانات الشعب العربي .

وشكرا برلين لوعيك بوجود هذا السلاح . . . وشكرا لتذكيرنا به حتى في لحظات النعاس الصباحية . . . وشكرا لذاكرتي السيئة . . . فلولاها لتذكرت شراء مسدس ـ لعبة من البلاستيك ـ لطفلي (اوصاني به قبل سفري بكل ما في اعوامه الثلاثة من قدرة على الاصرار) ، ولو فعلت لوجدت نفسي في ورطة حقيقية . . .

اذ يبدو ان المسدس في يد دمشقية حدث خطير في مطارات اوروبا !! . . . حتى ولو كان مسدس اطفال !

Akhawia.net

فرانكفورت ١/ ٧/ ٧٤

في البيت بيت لا أكثر، وفي القلب غوته

استقبلتني فرانكفورت بشمس ودية كأنها تستغفرني عن امطار برلين وكآبتها . .

كانت خلابة وهي تغسل الاشجار والمساحات الخضر الشاسعة بين المطار والمدينة . . .

ها هي فرانكفورت صباح ذلك الاحد المشمس، وديعة كشاب وسيم نصف نائم على ذراعي . اجراس الكنائس تمتزج مع اصوات الاطفال في كورس الحياة المعافاة، ويدهشك ان الحرب مرت ذات يوم من هنا ، اجمل ما في فرانكفورت ابنيتها العتيقة الجرمانية التي حافظت على نفسها رغم الحرب ، ورغم بشاعة ناطحات السحاب الاميركية التي تقوم الى جانبها . . وإذا كانت القنابل الاميركية قد دمرت عددا كبيرا من بيوت العالم المعاصر وخلفتها اطلالا بشعة ، فان الذوق الهندسي الاميركي تكفل ببناء بشاعاته العصرية التي لا عراقة فيها ولا تراث ، وبدت ناطحات سحابه قرب العراقة الجرمانية مثل ديناصور خرافي بشع من الحديد والاسمنت ! . .

محطة فرانكفورت

لا يمر احد بفرانكفورت دون ان يلحظ محطتها المشهورة . . . في مقهى مجاور جلست ، وفي لحظة مفاجئة تذكرت ان فرانكفورت كانت اول مدينة اوروبية ازورها في حياتي . كانت محطتي الاولى الى عمر من الرحيل واكتشاف المجهول والشهية الى المعرفة . وها انا اعود بعد عشر سنوات . . . وخلف زجاج المقهى لم اعد ارى المارة ، وانما مرت امام عيني سنواتي العشر المجنونة من الركض في العالم ، والاشياء الكثيرة الرائعة التي عرفتها ـ الضحكات والغصات ايضا ـ مرت امامي وجوه الكثيرين ممن عبروا ايامي في السنوات العشر الماضية ، وسمعت صدى صوت فيروز يصرخ في المدى « وينن . . وينن وين وجوهن . . . وين صواتن . . . صار في وادي بيني وبينن . . . وينن ؟ » ولم احزن انما شعرت بغبطة عظيمة . لقد عشت ذلك كله . امتلكته بكل متعاته واوجاعه ، واستطعت ان استمر . وها انا اجلس بعد عشرة اعوام من مغادرتي لبيتي الوديع (مغارة الياسمين) في دمشق ، وفي قلبي لا تزال تشتعل تلك النار المتعطشة ابدا لاكتشاف المزيد والمعرفة

Akhawia.net

والركض فوق الجسور من عالم الى اخر ، ومن مرحلة الى اخرى . . .

بهذا الشعور بالغبطة تجولت في فرانكفورت ، وبهذا الشعور بالانتماء الى كل ما ارتكبته في الماضي (والمستقبل) من نجاح او اثام وجدتني اذهب لزيارة صديق فنان عظيم كانت زيارته اول شيء فعلته في فرانكفورت منذ عشرة اعوام . . . واليوم ايضا .

غوتــه الخالــد

صديقي يسكن في الجزء القديم العريق من فرانكفورت . فقد ولد عام ١٧٤٩ . بيته جميل وفيه مكتبة كبيرة . نسيت ان اذكر لكم اسمه : انه وولفجانغ غوته . لا يمكن الا ان تكونوا قد سمعتم به .

عمره : ربما الى الابد . سيظل غوته حيا في خاطر البشر ما دام هنالك انسان واحد يقرأه ويتذوقه . . .

تعرف الموسوعة البريطانية غوته بأنه احد عمالقة الادب العالمي ، وآخر اوروبي من شخصيات « الرينيسانس » (عصر النهضة) حين كانت للمفكر شخصية انسانية وفعاليات فكرية متعددة .

وغوته بالنسبة الى الالمان كشكسبير بالنسبة الى الانكليز ، وهو في نظر كل المثقفين كاتب عظيم وشاعر مرهف ، لا ينسى . . . كان ناقدا وصحافيا ورساما ورجل دولة ومدير مسرح وفيلسوفا .

ضخامة نتاجه تلفت النظر . كتاباته حول العلم تقع وحدها في ١٤ مجلدا . تنوع اعماله ثري الى حد المعجزة ، ثم ان عمله الشعري الملحمي المسرحي « فاوست » يعتبر من معجزات الادب . . .

ستقولون لي : « حسنا ، انه فنان عظيم ، ولكن لماذا تأخذيننا لزيارته ، او بالحري لزيارة البيت الذي ولد وعاش فيه ما دام هو قد مات عام ١٨٣٢ ؟ ! »

« وما حب الديار شغلن قلبي
ولكن حب من سكن الديار!! »

وكما كان الاعرابي يقف على اطلال الحبيبة ، اذهب انا العربية المتحدرة من نسل الاعرابي لاقف على أطلال أحب الشخصيات الادبية الى قلبي ، غوته ، (ألا تذهب مرات الى أماكن حبك الاولى ؟!) وأفاجأ بأن عادة الوقوف على الاطلال العربية القديمة قد انتقلت الى العالم المعاصر ، فالمكان مزدحم بالزوار وبينهم وجوه من العالم الصيني

Akhawia.net

والياباني . واطلال غوته ليست اطلالا بل هي بيت من عدة طبقات ، جميل ومرتب ، حولته السلطات الى متحف ومحجة لكل عاشق لابداع غوته .

صديقي اللبناني ذهب بي الى بيت غوته دونما أية صعوبة . كان كمن ألف الدرب اليه ، وفي وسعه ان يقود سيارته الى هناك حتى ولو كان ثملا او معصوب العينين . وسألته مسرورة بالتقائنا الفكري : « هل تحب غوته الى هذا الحد ؟ » ولم يجب وانما ضحكت عيناه ، وحين وصلنا الى بيت غوته لاحظت وجود مقهى ليلي كبير على الرصيف المقابل تماما . غوته على رصيف والكاباريه على الرصيف الآخر ! والتقت عيناي بعيني صديقي وانفجرنا نضحك . فقد ادركت سر معرفته العظيمة بموقع بيت غوته ! وهكذا يفصل الشارع بين عالمين لكل منهما رعاياه . ويخطىء من يظنهما منفصلين تمام الانفصال ، فقد كانت اول امرأة احبها غوته فتاة بار ، ولعل روحه ترفرف كل ليلة من غرفة مكتبه الى الرصيف الثاني حيث البار ، فتبارك فتيات الليل كلهن لاجل محبوبته الاولى !

قبل ان نتجول في الدار احدثكم بايجاز شديد (قدر الامكان) عن غوته .

استطيع مثلا ان الخص قصة حياته بقولي : ولد ، وتعذب ، ومات .

فالى ايجاز اقل ايجازا :

عاش غوته ٨٢ سنة مليئة بالعطاء . اكسبته الحياة حكمة فغدا كأرباب الاغريق ولكنه ظل حتى نهاية حياته ـ مثلهم ـ قادرا على ان يهزه الحب والحزن حتى اعمق جذوره .

حياته كانت منظمة ، اي فيها روتين يحميه من الفوضى . اعظم ما انتجه هو ملحمته الشعرية المسرحية « فاوست » التي اخذت منه ٤٠ سنة من العمل الدائب فاستطاع ان ينهيها قبل موته بأشهر ، كأنه كان يدري انه لم يبق وقت .

« فاوست » اسطورة اوروبية قديمة تناولها اكثر من مبدع ، مثل مارلو البريطاني ، وهي تروي حكاية انسان باع حياته للشيطان وكتب له صكا بدمه مقابل ان يمتلك كل ما يشاء في العالم من معرفة وقوة وشباب ابدي .

كانت رؤ يا غوته للمرأة رؤ يا معاصرة . كان يرى في المرأة ندا للرجل ومحركا للحياة والحضارة ومركزا لاسمى ما في الانسانية الخلاقة من روح وفكر . . .

ككل الفنانين احب امرأة متزوجة (!) وكتب لها حوالى ١٥٠٠ رسالة (لعل الفنانين يعشقون الحب المستحيل كي تظل استحالته محركا لابداعهم كسكين في القلب !) ككل الناس تزوج وانجب ومات بعض اولاده وترمل ثم مات هو شخصيا . ذلك كله لا يهم الا بقدر تأثيره في نتاجه . . .

Akhawia.net

ومن هنا اني اعتبر مرضه عام ١٧٦٨ ، اثر عودته من ليبزيغ ، اهم من زواجه مثلا . ففي ذلك العام مرت به عاصفة نفسية من الكآبة والمرض والغم ، فانكب على دراسة السحر والكيمياء السحرية والفلكية وفلسفة ما وراء الطبيعة واستحضار الارواح . وظهر اثر تلك المرحلة واضحا ورائعا في « فاوست » : مشهد استحضار فاوست للشيطان ، مشهد ليلة اجتماع الساحرات على قمة الجبل وغيرها . . .

صداقته الحميمة مع شيللر كان لها اثر مهم في نتاجه ، بل وكان لها اثر في دفعه الى اكمال عمله الخالد « فاوست » (صداقات اهل الفكر معدومة لدينا فاذا وجدت فان كلا منا يستعملها معولا لتدمير صاحبه !)

و « فاوست » عمل غير مشهور جدا في بلادنا . فأكثرنا قد قرأ لغوته « آلام فرتر » وبكى لها في مراهقته ، لكن اعظم نتاجه غير مترجم على حد علمي ، وارجو ان اكون مخطئة . (ايها القراء ، ان كان بينكم من قرأ ترجمة عربية لـ « فاوست » فليصحح لي معلوماتي .)

بيت غوته ككل البيوت ، لكن صاحبه لم يكن رجلا ككل الرجال . فابداعه شمل كل المجالات ، حتى علم النبات . وكتابه « محاولة لتفسير تحولات النباتات » ذو قيمة لا لخطورة اكتشافاته العلمية ولكن لدراساته حول « التفكير العلمي » ، وكيفية ممارسته ، وضرورة توحيد « معرفة الذات » مع « معرفة العالم الخارجي » . وابحاثه حول الضوء والفيزياء تثير الاهتمام أيضا (هكذا يقولون لانني لم اقرأها ولا أفهم في الفيزياء ولا في الضوء كظاهرة علمية !) .

وتلفت النظر ايضا كتاباته الموسيقية الرائعة ، وازدياد اهتمامه بالموسيقى كلما تكاثرت عليه الاحزان . وقد كتب احدى مقطوعات موزار الموسيقية شعرا ، وقال ان موزار هو المثالي لتحويل « فاوست » الى موسيقى .

(لو استطعت ايصال صوتي اليه ، لنصحته ببيتهوفن بدلا من موزار . بيتهوفن هو الاعظم وربما الوحيد القادر على تحويل « فاوست » الى موسيقى) .

كل هذه الخواطر هاجمتني وأنا أخطو عتبة بيت غوته . قاطع البطاقات أعادني الى عالم المادة الذي يقطع استغراق الزائر في دنيا أحلامه . الوقوف على الاطلال على الطريقة العربية اكثر صدقا ومهابة . عندنا صوت الريح هو قاطع التذاكر ، وأشباح الماضي هي الدليل . . . تذكرة الدخول في يدي لفتت نظري الى الصيغ الرسمية للاشياء ، فتذكرت ان غوته كان محاميا وعاش في (فايمار) مقربا من الحكام ومستشارا . وتضايقت .

Akhawia.net

أطوف بالدار . . .

أقف أمام مرآة تعود بتاريخها الى القرن السابع عشر. في هذه المرآة حيث يرتسم وجهي طالما ارتسم وجه غوته ! وأحرك وجهي فوق صفحة المرآة كلها ، فينتابني احساس مثير باللقاء الغامض ، وأتذكر ان غوته كان يكره هذه المرآة (كما في مذكرات الذين حوله) . ذهب وجهه وبقيت المرآة

(ترى هل تسكن داخل المرايا كل الوجوه التي وقفت أمامها ؟ سأحمل معي حين أرحل مرآة حبيبي ، فقد يظل وجهه سجينا داخلها !)

بعض الاثاث يعود بعصره الى أيام غوته ومنه ما لا يزال يحمل بصمات الكاتب أو ذكرى بصماته ، ومنه ما هو تقدمة من الاسرة التي شغلته بعد أسرة غوته وقبل استعادة السلطات للدار لتحويلها الى متحف .

حكاية حياة الفنان ، كما نعرفها ، هي كمحتويات هذه الدار . بعضها له وبعضها اضافات خارجية .

وحقيقة الفنان الوحيدة الممكن الاعتماد عليها هي نتاجه . . .

أقف أمام البئر التي حفرها والد غوته يوم مولده . . . ما يزال الماء في البئر ، كعطاء لاينضب. هنالك أيضا شجرة الحامض التي زرعها الوالد في عيد ميلاد الابن غوته في حديقة الفناء عام ١٨٢٥ . لا تزال الشجرة خضراء تنمو وتكبر كعطاء غوته .

في البيت لوحات . في البيت مطبخ . في البيت جدران . في البيت بيت لا أكثر ، وفي القلب غوته وفي الذاكرة وفي الكتب . . . وكل ما تفعله الزيارة هي انها تنعش الذاكرة وتحرض الانسان على العودة الى نتاج ذلك المبدع .

وأغادر الدار وعيوني معلقة على مكتبة غوته وخيل الي انها المكتبة نفسها التي وصفها في كتابه « فاوست » والتي دارت فيها أحداث طرد الشيطان واستحضاره . ترى الى أي حد يدخل الديكور الفعلي للفنان ديكورا لاحداث أبطاله ؟ . .

نغادر الدار ، وحين يدعوني صديقي الى زيارة « البيت » المقابل لغوته ، ذي الدوام الليلي ، أقبل ، فأنا أنتمي الى عالم الضفتين ، الفن والحياة معا .

Akhawia.net

لندن ٥/ ٨/ ٧٤

شجرة الملكة ليست ملكة الشجر !

حملة شديدة في لندن ضد التدخين تستخدم فيها ملصقات مختلفة ذكية وطريفة ، منها مثلا صورة طفل بريء وتحتها تعليق : « كم سيجارة يدخن ابنك في اليوم » ؟ ! .

ملصق اخر لرجل حامل وتحتها تعليق : « هل كنت تصير اكثر حذرا لو كنت انت الذي سيحمل الاطفال » ؟ ! .

والغريب انه كان لهذه الملصقات تأثير عكسي تماما علي . فأنا قلما ادخن عادة ، ولكنني صرت كلما شاهدت أحد هذه الملصقات ضد التدخين اجد يدي قد امتدت بحركة لا شعورية الى علبة سجائري ! . . ونتيجة لتأثير هذه الملصقات ازداد تدخيني في لندن حتى الضعف . وابتعت ذات يوم علبة سجائر انكليزية ، وفوجئت بأن السلطات أرغمت الشركة على طبع العبارة التالية فوق العلبة : « تحذير : التدخين قد يضر بصحتك » ! . ويومها لاحظت انني دخنت العلبة بأكملها دفعة واحدة . وصرت اختار شراء علب السجائر التي تحمل هذا التحذير ! . .

ان على علماء النفس الذين يفتون باستخدام قوى الزجر ان يفكروا بردات الفعل العكسية التي قد تتفجر من الطبيعة البشرية . .

مثال اخر : حين كانت تجارة الخمور محرمة في أميركا كان أصحابها يجنون ارباحا هائلة ، ولكن حين سمح ببيع الخمور هبطت نسبة المبيع ! كأن الناس لا يعشقون الاشياء فحسب ، بل ويعشقون صعوبة الحصول عليها او الخطر الكامن فيها . فكلما ازداد الخطر استيقظت في الانسان غريزة المغامرة وشهية التجربة .

ويبدو ان القوى الزاجرة ليست دوما الحل الامثل ، بل انها احيانا تلعب دور المحرض الاساسي والاغراء الاضافي في مجال المحرمات . . .

ونحن العرب نميل بصورة عامة الى تبني سياسة المنع والزجر . . . ويخيل الي ان مزيدا من الحرية في كل المجالات اقل ايذاء من مزيد من الكبت . وهذا الكلام لا ينطبق

Akhawia.net

على موضوع المشروبات والتدخين ، بأنواعها ، بل على بقية الحريات الاشد اهمية ، من سياسية وفكرية وحتى عاطفية . . .

وربما لذلك كان الحب المستحيل هو اعنف انواع الحب واشرسها لدى العرب قبل غيرهم من الشعوب !

* * *

■ الصفحات الاولى في الجرائد اللندنية مكرسة اليوم للحديث عن العالم الذري الروسي الكبير زاخاروف ، وذلك بمناسبة الخلاف بينه وبين سلطات بلده . للمرة الثانية خلال أشهر تفرد « الصنداي تايمز » صفحاتها للتركيز على خلاف عبقرية روسية مع حكام بلدها ، وكما اتخذت من سولجنتسين ذات يوم ذريعة لابراز « الظلم » في روسيا تتخذ اليوم من زاخاروف مادة لذلك .

الغريب في الامر ان الصحافة الانكليزية ، بصورة عامة ، راقية وذكية ، والمفروض ان لا تقع في هذا المطب التقليدي حول اسطورة الستار الحديدي والقهر في روسيا . . .

فلم يعد سرا ان الحرية التي قد تكون (او لا تكون) مفقودة في روسيا ، ليست على اية حال من نباتات البلاد الرأسمالية ، ولم يعد هناك في عصرنا من يتوهم ان الغرب الرأسمالي هو بلد حرية الفرد ونقيض «الاستبداد» الروسي . . .

هذه الصورة التقليدية الخاطئة صارت من مخلفات الماضي ، وقد استطاع السينمائيون والروائيون والفنانون الاحرار في اوروبا وامريكا فضح انظمتهم وكشف الوسائل « الراقية » التي تمارس هناك في كبت حريات المواطنين . فالحرية ، في نظري ، لا تزال مواطنا سائحا يبحث عن جنسية في عصرنا الشرس ، والانسان في كل مكان لا يزال يناضل من أجل حريته . وأما تمثال الحرية في نيويورك ، فان الدماء تقطر من أصابعه ليلا ويمسحها عمال التنظيفات سراً مع الفجر .

* * *

■ في حديقة « ريجنت » في لندن ، المسكونة بكافة أنواع الازهار والاشجار العملاقة ، لفتت نظري شجرة نحيلة ضعيفة الصحة والبنية ، وقد افرد لها مكان خاص فلم تزرع في دائرة قطرها مئة متر أية شجرة اخرى ، لتأمين الشمس لها . وامام الشجرة حجر كشاهد القبر . . .

Akhawia.net

أثارت الشجرة فضولي ، فتقدمت منها وقرأت على الحجر : شجرة التوليب هذه زرعتها صاحبة الجلالة الملكة ماري عام ١٩٣٧ بمناسبة التتويج ! . .

كانت هذه الشجرة الملكية هزيلة بالقياس الى بقية الاشجار التي زرعها البستاني والفلاح العادي . كأن الطبيعة ارادت ان تلقن البشر درسا . . . كأنها تصرخ في الجميع : « شجرة الملكة ليست بالضرورة ملكة الشجر ! »

Akhawia.net

لندن ٥/ ٨/ ١٩٧٤

كيف تصبح مليونيراً ـ بقلم مفلسة . . .

شاهدتهم للمرة الاولى من نافذة السيارة التي اقلتني من مطار « هيثرو » الى لندن .

كانوا مجموعة من الشبان والفتيات يرقصون على الرصيف . الشبان حليقو الرأس تماما الا من خصلة تترية تتدلى من مؤخرة الرأس وقد ربطت كذيل حصان . وعلى وجوههم أصباغ ملونة وهم لا يرتدون الثياب الاوروبية وانما يلتفون بساري هندي . يقرعون الطبول ويغنون ويقفزون فوق الرصيف راقصين في ايقاع مجنون . . .

ظننتهم مجموعة من « هيبيي » لندن الذين سئموا الشعر الطويل وقرروا التجديد بحلاقة الشعر تماما . الشيء ثم نقيضه . امر عادي لا يستدعي التأمل . . .

وذلك المساء نسيتهم تماما . . .

ولكن المصادفات شاءت ان ترمي بي في طريقهم . . . ففي اليوم التالي، بينما كنت عائدة من المتحف البريطاني الى فندقي « بونيغتون » في شارع « شاوثمبتون رو » فوجئت بالمجموعة نفسها (ربما سواها ولكن بالازياء نفسها والطبول والدفوف والرؤوس الحليقة) تخرج من أحد البيوت القريبة من فندقي . وقرأت فوق البيت لافتة « معبد كريشنا » . وصرت احوم حولهم ثم عدت الى فندقي . وفي اليوم التالي تكرر الامر نفسه . وكذلك في اليوم الثالث ! واقتربت منهم وظللت أحوم حولهم وأحوم ، وانصت الى ما يقوله شاب رقيق الوجه بينهم لاحظ اشتعال الفضول في وجهي فقال لي بعذوبة ، وقد فتح الباب لي : « أراك تحومين هنا كثيرا ، هل تحبين الدخول ؟ . . . » ولما كنت اجهل كل شيء عما تخفيه الجدران ، واسمع القصص الكثيرة عن عبادات مختلفة تقدم ذبائح بشرية وطقوسا دموية ، ازداد فضولي ـ الذي أعجز دوما عن مقاومته ـ فدخلت ! . . . قال لي : « اخلعي حذاءك وادخلي حافية . »

وفعلت . . . وتذكرت عبارة دانتي المكتوبة على باب الجحيم في رائعته « الفردوس المفقود » والتي يقول فيها : « أنت يا من تدخل الى هذا المكان ، تخل عن كل أمل ورجاء ! » دخلت وكلي أمل في اكتشاف المزيد من أسرار هذا العالم المذهل بتنوعه وخصبه بالغرائب !

Akhawia.net

■ داخل معبد كريشنا ■

بعد ممشى قصير وضيق ، وجدت نفسي داخل غرفة واسعة أرضها مفروشة بالمطاط كي لا يسمع فيها حتى وقع الاقدام العارية . لا أثاث فيها وانما مجموعة من الرجال والفتيات في ملابسهم الغريبة تلك . كانت النوافذ محكمة الاغلاق والستائر مسدلة ، ورغم الاضاءة القوية من « نيون » متعدد الالوان غمرني شعور من هو داخل نفق . . . لم تكن في الغرفة اية مقاعد سوى مقعد كبير جدا تجلس عليه « صورة » رجل هندي ، والكل جلوس على الأرض . . . وفي الناحية المقابلة للمقعد «الصورة» كان هنالك مشهد مثير : دمية كبيرة مزينة بالزهور والثياب المزركشة ، وحولها مجموعة اخرى من الدمى الجميلة الانيقة جالسة في محفل مزين بالذهب والازهار ، شديد الاضاءة تماما كما العروس في اعراسنا الدمشقية (تجلس فوق الاسكي) . . . وجلست على الارض كالباقين ، وتركت رائحة البخور التي تملأ المكان تستولي علي وتخدر رغبتي المفاجئة في الهرب . ودخل بعدي شابان ركعا امام الدمى وسجدا ثم اتخذا لهما مجلسا على الارض . وبدأ أحد الشبان يقرأ من كتاب مفتوح امامه تعاليم دينية تحرض على رفض الحياة المادية الدنيوية وعلى عبادة كريشنا . . . وشعرت بانني في حلم غريب ! كان من الصعب ان أصدق ان هذا يحدث في قلب لندن في القرن العشرين ! والتفت الى صديقي « الكريشناوي » لاطلب منه الخروج ، ففوجئت به في شبه غيبوبة ومن وجهه تفيض امارات السعادة والبشر . . . كان شابا صغيرا لا يتجاوز العشرين من عمره ، وديع الملامح رقيقا ، ولا ادري لماذا وجدتني افكر في أمه في أسى (ترى هل تعرف اين هو ، ام تراها تبكي هذه اللحظة اختفاءه ؟ !)

وكان صوت « المعلم » يأتيني بلكنة هندية ، وبصوت يعلو وينخفض (ام تراني شعرت بالدوار ؟ !) وكان لا يقطعه الا صوت طنين نحلة عملاقة . والتفت فوجدت ان صوت النحلة هو صوت شاب الى جانبي يتلو صلاته باستمرار مثل طنين نحله . وعرفت فيما بعد انه يقول باستمرار : « انا سعيد . انا سعيد سعادة ازلية . هارا كريشنا . هارا كريشنا . هارا راما . هارا راما . هارا راما » على اعتبار ان ترداد هذه الالفاظ السحرية يسبب السعادة !

وتابع المعلم درسه : ان مأساة عالمنا هي في الركض خلف الاشياء المادية . ان تعاسة البشر سببها بعدهم عن الله والمحبة . . .

كان كلامه جميلا . كلام تردده الاديان كلها . على اني لم اجد مبررا للوثن الساذج

Akhawia.net

الذي كانوا يركعون أمامه كالاطفال .

وانتهزت فرصة صمت المعلم لرشف الماء ، وايقظت صديقي « الكريشناوي » من « سعادته الازلية » لانني أريد العودة الى « فندقي الفاني » .

ودعني الى الباب وسألني : هل انت سائحة او صحافية ؟

وكذبت . قلت له : لا . انا مقيمة واعمل في لندن . (ليست كذبة كبيرة لاني كنت فعلا كذلك منذ اعوام .)

سألني : هل انت تعيسة تبحثين عن خلاص ؟ قلت له : نعم . (ولم اكن اكذب هذه المرة ، وان كنت واثقة من ان خلاصي ليس عندهم .)

قال لي : « تعالي معي ! . . . »

جرني من يدي ببراءة مؤمن يريد انقاذ كافر من جحيمه ، وأعطاني مجموعة من الكتب والكراسات . وقال لي : « اقرأيها في الليل ثم تعالي غدا في موعد الصلاة ، وستجدين ما يسعدك . »

سألته : متى موعد الصلاة ؟

قال : في الرابعة والنصف .

قلت : بعد الظهر ؟

قال : في الرابعة والنصف صباحا مع الفجر ! . .

قلت : هذا مبكر جدا . لا استطيع .

قال : تعالي ! . . ستنسين احزانك وستكتشفين عالما جديدا وأصدقاء وفرحا لا ينتهي . . .

في قبضة « مافيا الهستيريا »

في الفندق وجدت في انتظاري صديقة عراقية مثقفة جدا تعمل في القسم العربي في الاذاعة البريطانية (أولغا جويده) . سألتني حين شاهدتني احمل منشورات الكريشناويين : « هل هذا جنونك الجديد ؟ هل لعبوا بعقلك ؟ »

قلت لها : « لا اعرف شيئا عنهم ، انني مجرد فضولية ! »

قالت : « ان بدعة كريشنا خطيرة تهدد شبان بريطانيا واميركا . . . وبدأت هذه البدعة في اوائل السبعينات وهي تنتشر بصورة هائلة . »

زعيم الحركة رجل هندي اسمه بختيفيدانتا سوامي برابوبادا المهاريشي ، والمفروض انه قديس منحدر من أصل الهي ! . . ولما كانت الستينات قد تميزت بجنون

Akhawia.net

شبيبة اوروبا واقبالهم على تدمير كل القيم ، وحتى على تدمير انفسهم واجسادهم بالمخدرات والعبث والجنون ، لذا جاء هذا الهندي ووجد تربة صالحة لصرخة العودة الى الروحانيات وترك العالم المادي . وهو طبعا لم يناد بالعودة الى الاديان الموجودة كالاسلام والمسيحية ، وانما نقل اليهم « كوكتيلا » دينيا هنديا مما يوفر له ولبقية زعماء هذه « المافيا الهستيرية » دخلا محترما ، و « شاليهات » في سويسرا ويخوتا وقصورا في الريف و « كاديلاكات » و « رولز رويس » وحسابات في المصارف . . .

قلت لصديقتي : لقد رأيت مجموعة من الشبان الانكليز نصف المذعورين نصف المخدرين بوهم السعادة . ولكنني لم أشم رائحة شيء خطر الى هذا الحد ! . .

قالت : ولكن الصحافة هنا اشتمت الخطر . . . والتلفزيون والاذاعة ايضا . وفي مقابلة تلفزيونية مع « قديسهم » سأل المذيع البريطاني المهاريشي : هل صحيح ان دخلكم السنوي هو ٢٠ مليون استرليني.؟

ورد المهاريشي بهدوء امام ملايين المشاهدين : اذا صح ذلك ، فانه قليل جدا ! . .

وتابعت صديقتي العراقية حملتها الشديدة : هذا الهندي استطاع ان يوقظ جوع الشباب الى الروحانيات وضيقهم بمجتمعاتهم الآلية المادية ، واستطاع ان ينشيء لنفسه حزبا ضخما وعدة معابد في لندن وفي اميركا ، وخرج عليهم بفكرة « التأمل » و « اليوغا » و « السعادة الازلية » . . . كان يمكن لاي حركة ان تحتويهم ، وها هو يحقق ذلك ! . .

سألتها : ومن اين تتدفق هذه النقود على الرجل الهندي ؟

قالت : كل من ينضم اليهم يتعهد بدفع ربع راتبه لهم طوال العمر . هذا بالاضافة الى مساعدة مؤسسات لها مصلحة في « هبل » الشبيبة . وحتى « البيتلز » يمولون حركة « الكريشنا » هذه لان مبيع اسطواناتهم ارتفع كثيرا بسببها ! حين ترينهم يغنون ويرقصون في الشوارع ويقفزون حول انفسهم كالدراويش ، يكونون في شبه غيبوبة من السعادة الازلية ، وهم يكررون باستمرار عبارة واحدة معناها « انت سعيد أزليا، لا شيء يهم . » وفي ندوة تلفزيونية مع « كريشناوية » تعيش في مزرعة جماعية خاصة بهم ، قالت : انني الان في اوائل العقد الرابع من عمري . . . في الستينات كنت « هيبية » في العشرين ، عشت في مزارع « هيبية » وحملت من اكثر من رجل ، ودمرت المخدرات والكحول صحتي ، واجهضت اكثر من مرة ، وهلكت ، ثم جاء خلاصي مع تلك الفئة من الطيبين والضائعين امثالي .

وتابعت صديقتي تقول : الفقر العاطفي والجوع الروحي هنا يجعل الشبيبة عرضة

Akhawia.net

للسقوط في اية موضة فكرية . . . وها هم يفتتحون مؤخرا مراكز ومعابد في برمنغهام ، ألاباما ، بوينوس ايرس ، كيب تاون ، كاراكاس ، اوتاوا ، بورتوريكو ، سانتو دومنغو ، ستوكهولم ، وجنيف !!! .

ساعة الذئب !

استيقظت فجر اليوم التالي بلا منبه . غادرت الفندق في الرابعة والنصف تماما . كانت الشوارع مظلمة . ولحق بي البواب محذرا من اللصوص والقتلة . سرت دقائق وقلبي يرتجف استمتاعا باكتشاف الجديد ، ووصلت الى المعبد . . . الصلاة عندهم تُبدأ مع الفجر ، وهي وصلة من الرقص المجنون على صوت الطبول والدفوف والناي والمزامير . واستقبلوا بود (الرفيقة اللاحقة) ، وكانوا يدعونني للغناء معهم . . . وكانت رائحة البخور تطفو على كل شيء . ثم جاء دور طعام الصباح الذي فرش على الارض . . . كان مؤلفا من الاعشاب والحشائش والخبز . وحين سألت صديقي « الكريشناوي » عن البيض او الجبن قال لي : معتقدنا يحرم علينا القتل ، ولذا فنحن نباتيون ، لا نأكل اللحوم ولا بيوض الحيوانات ! . . وفهمت سبب نحولهم الشديد ، وشحوب بشراتهم التي توحي بفقر الدم . وفي طقس بارد كطقس لندن لا استطيع ان افهم كيف يستطيع الانسان ان يعيش اذا لم يفترس بقرة في اليوم مثلا ! . . وشيء اخر لا استطيع فهمه هو ذلك الركوع امام اوثان هي في غاية السذاجة ومجردة حتى من الجمال الفني ! . ولكن الفتيات والشبان لطفاء وغير عدوانيين (ربما من سوء التغذية !)

التعاليم « الكريشناوية » تحرم الجنس الا بالزواج ولاجل انجاب الاولاد ، عكس « هيبية » الستينات ، وكذلك تحرم الكحول والمخدرات والمقامرة وكل ضروب العنف ، ومع ذلك شاهدت شبها داخليا بين « هيبيي » الستينات و « كريشناويي » السبعينات ، ألا وهو الانفصام التام عن الواقع المحيط بهم والتمرد عليه ورفضه علنا ، والهرب للعيش في عالم خيالي ووهمي سواء على أجنحة المخدرات في الستينات او على اجنحة بدع فكرية مستوردة من الهند في السبعينات !

الاستعمار الهندي ؟!

وهكذا وبعد ان استعمرت بريطانيا شبيبة الهند طويلا ، ترد لها الهند الضربة فتستعمر الشبيبة البريطانية . . . وبعد ان تسببت الامبراطورية البريطانية في سير الهنود حفاة وشبه عراة وجياعا طيلة اعوام ، تعود الهند الى بريطانيا فتجوع شبابها وتجعلهم يسيرون حفاة وشبه عراة ، يدفعون الجزية (ربع راتبهم) حتى الموت ، وكل ذلك

Akhawia.net

باختيارهم وتحت ستار الوهم . . . والاستعمار على الطريقة الهندية اشد خطرا لانه استعمار لرقعة النفس البشرية لا استعمار للارض فحسب ، ولانه يتم برضى الطرف الاخر واستسلامه الكامل . فهل نحن أمام « مافيا هستيرية » لرجل هندي ذكي وظف جوع الشبيبة الى الروحانيات كي يشبع جوعه الى الماديات ؟ ام تراه يصدق حقا انه المهدي المنتظر ؟ هل هو محتال ام مجنون عظمة ؟ ! .

لا ادري ! كل ما ادريه هو انني عدت الى فندقي في الثامنة صباحا جائعة وافترست اسماكا وبيوضا وكل ما تحرمه « الكريشناوية » ، ثم عدت الى النوم دون ان احلم بهم . . .

وحدها رائحة البخور بقيت في صدري ، وبها افتتحت رحلتي اللندنية . . .

تحويل الروحانيات الى مشاريع تجارية

ليس المهاريشي بختيفيدانتا سوامي برابوبادا وحده هو الذي حول جوع شبيبة لندن الى الروحانيات الى مشروع تجاري ناجح عن طريق دغدغة المشاعر الدينية . هنالك ايضا مسرحيتا « المسيح ، سوبر نجم » (!) و « جودسبل » . في المسرحية الغنائية « المسيح سوبر ستار » نجد يسوع « هيبيا » يرقص ويغني ، ويهوذا زنجياً أسود (عنصرية حتى النهاية !) ، واغنيات جميلة ذات كلمات ساذجة تجتذب الجمهور وتستقطب جوعه الى الروحانيات وتقدم له وجبة دسمة من الرقص العاري في الوقت نفسه . . .

والصحف الانكليزية تعي مدى اهتمام الفرد البريطاني المعاصر بالخرافات والروحانيات ، وتنشر باستمرار آخر أخبارها في مختلف الاقطار . وفي أحد الاعداد الاخيرة لملحق « الاوبزرفر » صورة مروعة لاعضاء اجساد بشرية تتدلى من سقف احدى الكنائس ! وتزول دهشتك حين تعلم ان هذه السيقان والايدي المعلقة لم تقص من الاجساد وانما هي مصنوعة من الشمع ، والسبب في ذلك ان اكثر المرضى في البرازيل يذهبون الى كنيسة « سانت جودا تادو » حاملين عضوا من الشمع يماثل احد اعضاءهم المريضة ، ويعلقون النسخة الشمعية في الكنيسة ايمانا منهم بان ذلك سيشفي اوجاعهم بقوة خارقة ! . .

وفيلم « طارد الشياطين » ـ عن قصة وليم بلاتي ـ الذي يعرض في لندن حاليا يلقى اقبالا هائلا من المؤمنين بالعفاريت والارواح الشريرة والشياطين . ورغم موت بعض المتفرجين بالسكتة القلبية اثناء الفيلم (ثلاث حوادث حتى الآن) واكتفاء البعض الاخر بنوبات زعيق ، لا يزال الفيلم يجد روادا كثيرين . وقد ذهبت الى دار السينما ووجدت

Akhawia.net

الرواية افضل كثيرا من الفيلم ، حتى من حيث طاقتها على « التخـويف » . وفي اليوم التالي لم أفاجأ حين قرأت في أحدى الصحف خبرا حول رجل اغتصب فتاة ثم ادعى انه ليس مسؤ ولا عما فعله لان روحا شريرة احتلته واملت عليه عملية الاغتصاب رغما عن ارادته ! وطلب احضار كاهنه الى المحكمة كشاهد رئيسي ، بصفته يعالجـه من احتـلال الروح الشريرة له ! . . والمعروف أنه في فيلم « طارد الارواح » ترتكب الفتاة التي تحتلها روح الشيطان جريمتي قتل ، ومع ذلك لا يعتبرهـا المؤلف مسؤ ولـة عن جرائمهـا بل المسؤ ول هو الشيطان الذي احتلها وعطل ارادتها !!! واذا قبل القاضي شهادة الكاهن واعتبر الرجل غير مسؤ ول عن عملية الاغتصاب التي قام بها فانه من المتوقع ان ترتفع نسبة جرائم القتل والاغتصاب التي سيقوم بها شياطين يحتلون اجساد الرجال الابرياء . . . ولا تزال المحكمة تنظر في القضية ، والجمهور ينتظر النتيجة باهتمام . . . وعذارى بريطانيا يتطلعن بترقب . . .

ويلاحظ ايضا اقبال الناس على افلام الرعب والجنس التـي تعـرض في دور سينما ساحتي « البيكاديللي » و « ليستر » ، وامام كل دار سينما من هذا النوع صف طويل من الناس (كيو) ينتظر دوره للدخول . . اما السينما المجاورة التي تعرض فيلم « هاكلبري فين » ، عن قصة مارك توين للاطفال ، فلا أحد يقف على رصيفها غير البواب . . . . وأنا ! . .

Akhawia.net

لندن ١٢/ ٨/ ١٩٧٤

والحضارات ترحل إليك ! . .

يظل أعظم ما في لندن هو تنوع الفعاليات الثقافية والابداعية فيها . . .

في لندن ، تسافر الحضارات إليك ، وتقبع في اروقة المتاحف والمعارض تنتظرك . .

فن الاسكيمو مثلا . ألم تشعر قط بالفضول لمعرفة ماذا يرسم الناس الذين يقضون حياتهم في القطب في بيوت من الثلج ؟ وهل ينحتون ؟ وماذا ينحتون ؟ وما هي رؤ ياهم للعالم ؟ . .

إذا كنت مثلي تحب ان تعرف شيئا عن فنهم ، تعال معي الى شارع مونمارت في لندن ، حيث يقام معرض دائم لفن الاسكيمو في « غاليري انثروبوس » .

اول ما يلفت النظر في نحت الاسكيمو هو المادة التي تصنع منها التماثيل ، وهي في حد ذاتها مادة محرضة لمخيال وموحية . . . تصور منحوتة مثلا اسمها « روح اسلافي » محفورة من عظام الحوت المتحجرة التي لا يقل عمرها عن آلاف السنين . . . ان الرخام الفلورنسي الملون جميل ، ولكن النحت في مادة اصلها حي امر يثير الخيال حقا ويحمل طاقة ايحائية شديدة لانها كانت ذات يوم جزءا من جسد كائن يتنفس ويتألم ويموت ، وحملت طيلة آلاف السنين في جوفها حكايا الارض والتاريخ حتى تحجرت وتحولت الى منحوتة في متحف ، اي عادت الى الحياة بعد آلاف السنين بفعل الفن والابداع . كل أحجار المنحوتات خاصة وغريبة . بينها صوان يعبر بقسوته ومظهره الشرس عن شراسة الحياة في القطب وقسوتها . (ستتخيل الشرر الذي تفجر لحظة النحت !)

جميلة جدا هي أعمال اسكيمو كندا وكيوبيك . فيها بساطة بدائية مذهلة الصراحة والعمق ، وهي تعبر بصدق عن مشاعر ناحتيها . ليست تماثيل تجريدية وانما شبه تجريدية انطباعية بدائية ، الهم الاساسي فيها هو الصراع مع الطبيعة وما وراء الطبيعة .

ففي الصراع مع الطبيعة نرى تمثالا لانسان يقتل حيوانا اصغر منه بينما انحنى عليه حيوان اكبر منه ليقتله بدوره . انها دورة الطبيعة وقانون الغاب . هنالك تمثال لكائن نصفه انسان ونصفه الآخر دب قطبي (انها ثنائية الوجود) ! وآخر لرجال يحملون اثقالا ،

Akhawia.net

يقاتلون ، يموتون ، يتألمون . وجوه متعبة ، أيد متجلدة ، عيون متحدية . الصيد هو الهم الاساسي ، وحيوانات الفقمة والبوم القطبي والدب والطيور والاسماك تتردد بكثرة . . .

اما في مجال هموم ما وراء الطبيعة ، فان الاسكيمو ينحتون ارواح اسلافهم ، يحاولون تجسيد الروح في الحجر !

ومن اطرف منحوتات المتحف فقرة متحجرة من عظم حوت عمره آلاف السنين وقد نحت فيها وجه انسان ، فكأنها صك تذكاري لانتصار الانسان على الطبيعة وقهره حتى للزمن .

وتجد نفسك منساقا الى معرفة المزيد عن فنون بلاد نكاد نجهل تماما حركتها الفنية . وتمضي معي الى منطقة « الماي فير » في لندن حيث يقام معرض للفن النرويجي وايسلندا . . .

اكثر رسوم النرويجي كيث جرانت تتحدث ايضا عن الطبيعة عن جبروتها وقسوتها وصراع الانسان امام قواها . . .

والرسوم هنا اكثر تعقيدا من رسوم الاسكيمو ، عاكسة بذلك واقع الحياة الاجتماعية المحيطة بالفنان . ولعل اجمل ما في لوحاته هو ذلك الاحساس بأن البحر متجلد كالمرآة ، وهكذا فالفنان يرسم كل شيء وظله المقابل له على صفحة الماء المتجمدة . . .

الالوان شرسة وتعكس عدوانية الطبيعة الجبارة التي يقابلها الفنان بطاعة تتأرجح بين الحب والكراهية . . .

موضوعات الفن النرويجي والايسلندي هي ، على سبيل المثال ، سماء صافية وثلج . مطر . الفجر . المطر يخفي شمس منتصف الليل . الغيوم فوق القمم . نجم المساء . شروق الشمس في ايسلندا . وكلها اعمال جميلة متميزة الالوان تخلق لدى المتفرج المداري انطباعا عن عالم الثلوج والبرد والطبيعة الملونة الجبارة . الملاحظة الاساسية التي نخرج بها من هذين المعرضين هي مدى التصاق الفنانين هناك بواقعهم وعكسهم اياه بصدق ، وهو امر لا يزال ينقص اكثر الفنانين العرب (ما عدا العراقيين التشكيليين وقلة من اقطار عربية اخرى) . فكثير من اللوحات العربية لا تحمل شيئا من بصمات المجتمع حولها .

معرض الحياة الوحشية !

حينما اذهب الى معرض فني اجدني ساقطة في سلسلة لا نهاية لها من زيارات

Akhawia.net

المتاحف . وحينما ابدأ يومي في لندن بالذهاب الى « غاليري » فني اعرف انني سأكون آخر النهار منهكة على رصيف آخر « غاليري » تمكن مشاهدته قبل ان تغلق المعارض ابوابها ! وهكذا كان . . .

غادرت متحف الفن النرويجي ، وقررت الذهاب الى شارع مول حيث يقام في « غاليري مول » المعرض السنوي لفناني الحياة الوحشية ، اي الذين تخصصوا في رسم حيوانات الطبيعة غير الاليفة . . .

استوقفت « تاكسي » يقوده عجوز جدا وقلت له عنوان « الغاليري » ، فقال لي انه على بعد خطوات . « ولا حاجة بك الى تاكسي » . وفعلا كان المتحف على بعد خطوات ولكن على بعد مئة الف خطوة ! وانهكني المسير ، وفي منتصف الطريق امام القصر الملكي وجدتني اجلس على الرصيف متعبة . . . ولكن لندن جاءت تسليني ، اذ فوجئت بمسرحية تجري امامي فجأة . . . فجأة خرج فرسان يرتدون ثياب العصور الوسطى ، ويعزفون على آلات موسيقية أثرية ، ويقومون بطقوس غريبة من تبادل الرماح والاقواس بينما تلتمع رياش قبعاتهم ومخمل ياقاتهم . . . وفوجئت بأن هذه الطقوس تقام مرة كل اربع سنوات عندما تستعرض الملكة حرسها الخاص الذي انشىء عام ١٤٨٥ وما زال حتى اليوم يرتدي الثياب نفسها ويقدم طقوس الولاء نفسها . وكانت مصادفة غريبة ،وشعرت بأنني «أليس في بلاد العجائب » ، وعند كل منعطف شارع تنتظرني مفاجأة لتسليني ! . . والتقطت صورا لما يدور امامي فقط لاتأكد من انني لم ارجع في الحلم خمسة قرون الى الوراء ! . .

هذه هي لندن . تنوع ومفاجئات ولحظات من الماضي السحيق تتبعها لحظات عصر الذرة . . . واكاد انسى انني كنت في طريقي الى « غاليري مول » .

البوم ملك الموسم

في جاليري مول وجدتني امام معرض دوري يقام في لندن كل عام . تعده جمعية فنانين متخصصين في رسم كائنات الطبيعة غير الداجنة وتضم ١٠٨ فنانين . المعرض قفزة ساحرة الى عالم يكاد يكون منسيا ! ففي مدننا الحجرية وشوارعنا الاسفلتية قلما نلتقي بغير الكلاب والقطط المرفهة والتي اضاعت بالتالي حواس الصيد والرهافة ، او نلتقي بالحيوانات الكاسرة في حدائق الحيوانات حيث الذل يطفىء العيون فيتغير الشكل الحقيقي للحيوان عما هو حين يكون حرا في الطبيعة . . .

في هذا المعرض نرى كائنات الطبيعة في وجهها الحقيقي لا في اقنعتها التي أرغمها الانسان على ارتدائها . نرى خيولا وحشية . طيورا غريبة . هررا برية . قنافذ وسحالي

Akhawia.net

وثعابين وغيرها من كائنات الطبيعة المدهشة التنوع والجمال . . . ولعل نجم المعرض هو البوم . ليس بين الفنانين من لم يرسم بومة ، واجمل ما في المعرض لوحة تضم كل انواع البوم الـ ٢٤ في داخلها . . .

هذا معرض يريح الاعصاب ، تشم فيه عبق الغابات والتراب ، وتشعر بالاقتراب من الطبيعة العظيمة ومن « اخواننا » فيها . . .

ابرز ما في معارض لندن هو اخذها بمبدأ الاختصاص ، وذلك يجعلها اقرب الى المؤسسات الثقافية منها الى دكاكين فنية عشوائية العرض (كما هي اكثر غاليريهاتنا) !

متحف الهواء الطلق !

اذا لم تكن من رواد صالونات « السونا » اللندنية التي تحولت الى اوكار لممارسة كل شيء ما عدا « السونا » ، واذا لم تكن من الذين يسترشدون بالاعلانات الكثيرة التي تحمل ارقام الهاتف لدليلات سياحيات (وهن فتيات مستعدات لارشاد السياح الى أي شيء ما عدا المعالم السياحية في لندن لان السياحة تتم بأكملها في شقتهن) ، واذا كنت من هواة التسكع البريء في الشوارع ، فانك ستجد نفسك في مهرجان فني يوم الاحد . . . ومتحف في الهواء الطلق . . .

يوم الاحد يخرج الفنانون من جحورهم في لندن (مدينة الـ ١٢ مليون سردينة بشرية محشورة في غرف ضيقة) ، ويحملون لوحاتهم ويطلعون بها الى حديقة « هامستيد » او « هايد بارك » . . . وهناك تسير ، والى جانب الطريق مهرجان فني مذهل تتراوح اعماله بين المدهش والسيء ، لكنك تكون قد اطلعت بصورة عامة على ما يدور في اوروبا الفنية المعاصرة . ويغيظني كثيرا ان اصف اللوحات ، فاللوحة رؤ يا لا تستوعبها الكلمات وبالتالي فان صاحبها قد لجأ الى الالوان ، فكيف اعود انا الى كتابة الالوان ؟ ومع ذلك ، انقل اليكم صورة « مشوهة » عن لوحات جيدة خطفت انتباهي وهي تحمل افكارا تجريدية في غاية الطرافة والعمق . (اسماء اصحابها لا تهم حاليا ولكن من الممكن ان يكون بين آلاف اللوحات تلك ، لوحة ـ لوحة واحدة على الاقل ـ ستعلق ذات يوم ويخلد اسم صاحبها وتباع بملايين الجنيهات . اما الان فكلها رخيص الثمن نسبيا) . هناك فنان صنع من الجماجم أواني لتربية النباتات ، وها هي الحشائش والنباتات تخرج من فتحات العيون والانف والفم ، وتتدلى من فجوة الاذن وردة ساخرة مضحكة ومروعة ! . . وهكذا حين يفرغ الهيكل العظمي من الجسد الحي يستطيع ان يحل محله ببساطة شيء حي آخر هو النبات . فالجسد ليس اكثر من وعاء للروح ، وعاء يصلح لتربية الحشائش اكثر

Akhawia.net

من تربية اللحم والكروش !

هـناك ايضـا لوحـة لشـاب يعـزف على قيثارتـه في المدينـة وحولـه في الشـوارع ديناصورات وحيوانات ما قبل التاريخ تتجول . . . ولا انسان سواه . انه يعبر بذلك عن غربته ، وعـن احساسـه بأن الانسـان لا يزال يعيش عصره الحجـري ، وان البشر هـم ديناصورات عالمنا المعاصر الخالي من الانسانية ! . .

فنان آخر رسم زجاجة « بيبسي كولا » ، ورجل يمتص محتوياتها بعظمة بدلا من « شاليمو » . هنالك ايضا قفص عصافير ، وبدل العصافير تتدلى في داخله نساء مشنوقات مصنوعات من دمى صغيرة ، وهذا القفص يعبر عن وضع المرأة البائس واستعباد الرجل وشرائعه لها . (بصورة عامة) .

ثم نأتي الى أشياء اكثر جنونا ، لوحات صنعت بأكملها من مواد كانت حية (من النبات) واستعمل الفنان في تركيبها حبات البـن والفاصـوليا والفـول والحمص والقش والخيطان بدلا من الاصباغ . وهنالك آخر اضاف الى المواد السابقة كلها اغطية زجاجات « السفـن أب » وخراطيش طلقات فارغة ومقابض مسدسات .

وبينما الناس في حدائق « هامستيد » يتأملون اللوحات تنصرف الكلاب الى السباحة في احدى بحيراتها ، وفي الماء يبدو الكلب مثل لوحة لرأس مقطوع صغير يعوم وخلفـه ذنب صغير . وتعوم هاربة منه بطة بيضاء ، ويلحق بهما قارب دمية من تلك القوارب الموجهة ، ليفسد اللوحة الطبيعية بضربة عصرية واحدة !

الاشجار هناك لا تموت واقفة !

على جدران « الهايد بارك » المهرجان الفني نفسه ، والتنوع نفسه ، بالاضافة الى فنان متخصص في فك آلات الساعات القديمة وتحويل احشائها الى لوحات غريبة المذاق توحي بعصرنا الآلي الاهوج الفارغ . وهنالك ايضا فنانة تتخـذ من ريش الـطيور مادة للوحاتها بدلا من الاصباغ ، وتصل الى ركن الخطباء في « الهـايد بارك » . . . انهـم لا ينتهون من الكلام ابدا ، كأنهم رجل واحد غاضب ثرثار لا يسكت ولا يتبدل !

وتتعب ، وتهرب الى داخل « الهايد بارك » . تتوغل . اله الحب قد رحل ، ولم تعد الحديقة تعج بالعشاق الذين يتبادلون القبل .

منذ وصولي الى لندن لم أر زوجا واحدا من العشاق في حالـة عنـاق ، كما منـذ اعوام ، وسألت احد حراس الحديقة العجائز عن « الوضع العاطفي » للحديقة فقال لي بحسرة ، متحدثـا عن احزانـه الخاصـة وكأنـه لم يسمـع سؤالي (تمامـا كما في مسرح

Akhawia.net

اللامعقول) : ان اشجاري تموت فجأة بالسكتة . . . تصوري ! . . هذا العام انهارت عشر شجرات ضخمة . سقطت فجأة على الارض ميتة .

قلت له : غريب ! . . الاشجار عندنا تموت واقفة

قال : انها لعنة من السماء ان تهوي الاشجار كما يهوي الرجال المصابون بالذبحة . انها لعنة من السماء على جيل « الهيبيز » ! وتركته يبكي اشجاره ومضيت اتابع جولتي في لندن السبعينات ، حيث الاسعار تتابع الارتفاع ، وتنانير الفتيات تتابع الانخفاض ، وهما أمران لا يسر لهما السياح كثيرا ! . .

مسرح الهواء الطلق

احلى الافكار اللندنية فكرة مسرح الهواء الطلق . ففي حديقة « ريجنت » الكبيرة نفذت هذه الفكرة المدهشة . بين الازهار والاشجار والخضرة وضعت المقاعد ، وتحولت الغابات الى « ديكور » طبيعي لمسرحيات عالمية . . . شاهدت مسرحية شكسبير « حلم منتصف ليلة الصيف » واحداثها تدور اصلا في غابة ، لذا كان الديكور الطبيعي امتداداً عفويا لصلب الاحداث . وللحظة خيل الي ان الممثلين هم الذين يعيشون قصتهم حقا واننا نحن المتفرجين في مقاعدنا دخلاء على المكان « نمثل » وجودنا . . . كأنهم هم الحقيقة ونحن الوهم . . . هم الحياة ونحن المسرحية ! . .

وفي رقعة منبسطة من الارض ، الى جانب خيمة اخرى ، شاهدت مسرحية ليوجين يونيسكو ، وكان المكان معدا على طريقة « البيكنيك » حيث تشتري السندويش والمرطبات وتستطيع استئجار وسائد وبطانيات ، وحتى خيمة ، او تجلس الى طاولتك وسط الحديقة وتتمتع في الوقت نفسه بشحنة فكرية محرضة اذ يقوم الممثلون بأداء ادوارهم بين المتفرجين ! الفكرة رائعة وتناسب طقس بلادنا اكثر من طقسهم المتقلب ، فقد حدث في منتصف المسرحية ان امطرت السماء عكسا لما هو وارد في « سيناريو » المؤلف المفروض انه يدور في شمس لاهبة ، وخرجت الطبيعة عن ديكور المسرحية غير مبالية برغبة المؤلف ! ولكن التجربة تستحق النقل والتحقيق في بلادنا (هذا بعد انشاء حديقة عامة في بيروت اولا !)* .

نجمة اسرائيل

اكثر دكاكين التذكارات تبيع نجمة اسرائيل . وذلك لا يمكن ان يكون مصادفة وانما

* وايضاً بعد وقف اطلاق النار ! ٢٠/ ١١/ ١٩٧٨

Akhawia.net

وفقا لخطة اعلامية . وذات مساء امتلأ قلبي حنقا لكثرة ما شاهدت تلك النجمة بزخارف مختلفة . فالعربي لا يستطيع ان يراها الا والدم يقطر منها (دمنا نحن) .

الفنون الفـولكلورية العربية ومنتجاتها تباع في لندن على انها تراث اسرائيلي ! . . انهم لم يسرقوا ارضنا فحسب . بل انهم يسرقون تاريخنا وفولكلورنا ويقدمونه للغرب على انه من صنعهم . . . واذا استمر غيابنا الاعلامي النسبي ، واغترابنـا عن جوهـر قضية فلسطين وخطورتها ، فقد يبيعون جثثنا ذات يوم في سوق اللحم الانكليزي على انها لحوم ابقار اسرائيلية ! . .

Akhawia.net

باريس ١٩/٨/٧٤

دكان توابيت . . الحب !!

في المتحف الوطني للفن الحديث بباريس ، كنت اتجول بين (فظاعات) الاعمال غير الفنية واسطر على دفتري بعض الملحوظات بالعربية وبالطبع كنت اكتب من اليمين الى اليسار (عكس الكتابة الفرنسية) . . . لاحظ ذلك احد حراس المتحف وبدأ يطاردني من ركن الى آخر ليتفرج على الطريقة التي بها اكتب . . . وبدا لي مهتاجا وهستيريا ثم اصر على ان اسطر ملحوظاته هو ونقده الخاص ، وكانت كلها من نوع الشتائم لما يضمه المتحف . . وبدا لي غير متوازن عقليا ، ويستطيع ان يكون خطرا ومؤذيا اذا لم يعامل برقة مثل كافة المجانين . . . وفعلا تظاهرت بتسطير كل « النقد » الذي يمليه علي وكنت اتحرك بهدوء ريثما خرجت من القاعة الفارغة الى قاعة اخرى تعج بالناس . . وهربت . . .

وصرت حين ادخل متحفا للفن الحديث ، ارقب حراسه اكثر مما ارقب لوحاته . . وكانت تبدو على اكثرهم اعراض عصبية حادة . . . وادهشني انني لم اجد في اي متحف رسما « لحارس متحف » . . . الفنانون يرسمون كل شيء في الدنيا الا ذلك المخلوق الحزين الكئيب الواقف على قدميه طوال النهار لحراسة اعمالهم التي قد تستحق التكسير اكثر من الصيانة . . . الشعراء والقصاصون كتبوا عن الفلاحين والعمال وقاطعي التذاكر وكل المسحوقين ، ولم يفكر احد باولئك الذين مهمتهم في الحياة حماية انتاجنا . . . (البكوات) يهتمون (بالقبضايات) الذين يحرسونهم ويعنون بهم ، والفنانون الذي يفترض انهم مرهفو الحس ، لا يلحظون ابدا تلك الاشباح في المتاحف التي تحرس ما هو اهم من حياة الفنان (اي نتاجه) ! . .

ترى هل اكثر حراس متاحف (الفن الحديث) مجانين بفضل الاعمال المروعة التي يتلخص عملهم في حراستها ، وهم مرغمون على مشاهدتها ليل نهار . . . والى حد يدفع بهم للجنون ؟ . . . وهل حالتهم النفسية هي افضل مقال نقدي عملي حول اكثر الفن الحديث الهستيري ؟

ام تراهم يتمزقون لان الناس يمرون بهم باستمرار لاهين عنهم بلوحات على

Akhawia.net

الجدران ، وتماثيل في الاركان ، دون ان يكلفوا انفسهم حتى عناء النظر في تلك الوجوه البشرية المسحوقة ، المحرومة من الشمس ، التي تقضي نهارها في حراسة كل شيء ، ولا احد يحرسها من الغربة ولو بنظرة ؟ . .

لا ادري . . كل ما ادريه هو انني صرت اقضي نصف وقتي في المتاحف في تأمل ما تضم ، والنصف الباقي في الابتسام للحراس ! . .

* * *

اهانة الجمهور وتحقيره والسخرية منه هي الظاهرة المشتركة بين الفرق المسرحية الطليعية في لندن وباريس . . . وحتى كتاب المسرح الطليعيون يساهمون في ذلك بتزويد الفرقة بمسرحيات تتضمن (مقالب) عملية للسخرية بين الجمهور . ففي احدى المشاهد التي كتبها يوجين يونيسكو ، تبدأ المسرحية بالنشيد الملكي البريطاني (وهي عادة كانت متبعة الى ما قبل سنوات) . وطبعا يقف الجمهور نصف مدهوش من العودة الى هذا التقليد بينما يتلكأ البعض الآخر ، المهم ما يكاد اكثر الحضور يقفون حتى تتحول المعزوفة الملكية الجليلة الى زعيق ديك يقول (كوكو) ساخرا ثم موسيقى جيرك صاخبة . . . وطبعا يشعر الجميع بالارتباك والخجل الاجتماعي ويضحكون في قهر مكتوم وهم يعودون الى الجلوس .

وتنتهي المسرحية بأحد الممثلين وهو يقف مشيرا الى الجمهور قائلا : ماذا يفعل هؤلاء الحيوانات هنا ؟ ! ,

ولا (ينهق) احد احتجاجا ! . .

وفي باريس في مسرح « دورساي» لم تكتف الفرقة بتوجيه اهانات لفظية للجمهور المسكين ، وانما تعدت ذلك الى الايذاء الجسدي وتوسيخ الثياب . . . فقد كان الممثلون يبصقون في وجه المتفرجين ، وكانوا يخرجون من الكواليس الى المسرح لا سيرا على السلم وانما سيرا على اجساد المتفرجين ، وفي حالات ملاطفة جمهورهم كانوا يرمونه بالسمك الفاسد ، و (لتدليعه) يطلقون عليه قطا شرسا او يغطون رؤوس البعض ببساط قذر خانق من اجل تحويلهم الى ديكور صحراء مثلا !! .

من زمان كان المتفرج هو الذي يرمي الممثل الذي لا يعجبه بالبيض والسمك الفاسد ، اما اليوم فالممثل هو الذي يرمي جمهوره المعجب به بالسمك والبيض الفاسد ! . . . وقد لاحظت نوعا من المازوشية الجماعية (التلذذ بالعذاب والاذلال) في تقبل هذه الاهانات الجماعية الى حد الاستمتاع بها . . .

Akhawia.net

هل صارت الشخصية الاوروبية المثقفة اليوم معقدة الى حد يدفع الفرق المسرحية والكتاب لاستخدام وسائل نفسية ملتوية لامتاع نزواتها المازوشية والسادية ؟ . . وهل انتقلت ظاهرة (السادو ـ مازوشيست) من صعيد العلاقات الجنسية في كهوف سوهو والبيغال ، الى صعيد الثقافة ومسارح النخبة لترضي شذوذهم على حساب الفن ؟ . .

وهل كان المركيز دوساد يفوز بجائزة الاوسكار لو عاد اليوم حيا واشتغل بالاخراج ؟؟

* * *

اسم الدكان « حرفة الحب » ويقع قرب « توتنهام كورت رود » بلندن . . . واذا كان حس الفضول لديك اقوى من حس الخجل ، فانك ستدخل لتتفرج على البضائع . . . كراسات جنسية . صور عارية مختلفة لحيوانات بشرية تمارس اللعبة اياها . . . ادوات عصرية للمساهمة في ذلك ، تعمل بالبطاريات زيادة في التكنولوجيا . . . اما البائعات فوجوههن قاسية وصارمة مثل وجوه موظفات المتحف البريطاني بعد ٢٠ سنة من الخدمة الجادة ! . . . بالنسبة للدكان ، الجنس سلعة كأية سلعة اخرى ، لذا فقد تغير شكل دكاكين بيع الجنس الخجولة المختبئة ذات الابواب نصف المفتوحة والاضاءة السرية .

هنا الباب مفتوح حتى اخره كما في أي دكان . والرصيف امامها يزخر بالناس ، والاضاءة قوية كما في دار الكتب الوطنية ! . .

وفي الركن تمثال لامرأة من المطاط منفوخ بالهواء . فما دام الحب قد مات ، وما دامت كل نساء العالم يتساوين في الظلام ، فان الدمى المطاطية ايضا تستطيع المنافسة في هذا المجال . تأملت الدمية وشعرت بأنني امام جثة ! جثة الحب في هذا العصر . . .

وتجولت في المكان كمن يتجول في دكان لبيع التوابيت . . .

لقد مات الحب ، وها هم قد باشروا فتح دكاكين التعيش من طقوس دفنه . وتذكرت قول الشاعر العربي العاشق لحبيبته :

لو مر سيف بيننا لم أدر هل اجرى دمي أم دمك !

بالنسبة لعصرنا ، هذا كلام مكتوب بلغة هيروغليفية لم يعد يفهمها احد هناك ! . .

Akhawia.net

باريس ٢١/ ٨/ ٧٤

الغجرية تلتف بعباءة الجنون الملونة

حين تسافر في يوم واحد من اقصى الشمال في اسكوتلندا ، حيث الطبيعة في ذروة الجمال والهدوء والسكينة ، لتصل مساء الى اكثر ازقة الحي اللاتيني جنونا بباريس تشعر كأنك انتقلت من عصر الى آخر . . . ولكن حين يتم ذلك السفر المرهق ، ليلة ١٤ تموز حيث تحتفل المدينة بكل جنونها المكبوت بعيدها القومي ، فان انتقالك يصير له طعم الصدمة ، كمن اخرجوه من نومه فوق بحيرة متجمدة في القطب ، ليركب فوق جسد تمساح في بحيرة استوائية الهيجان ! . . .

وهكذا بعد رحلة بدأت منذ الفجر بالقطار الى لندن ، ثم مباشرة بالباص الى مطار هيثرو ثم بالطائرة الى مطار شارل ديغول بباريس ، وجدتني ليلا في مدينة غجرية تلتف بعباءة الجنون الملونة الشفافة وتركض على شواطىء السين ، وشعرها المنثور في السماء العاب نارية ووقع خطاها فراقيع العيد . . . وشعرت بأنني احلم ، فالارهاق الجسدي زعزع احساسي بصلابة الاشياء وباريس ليلتها دعوة الى الجنون ، الى الصراخ او الغناء او الذهول ، ومن كان مسكونا بالجنون لا يستطيع ان يرفض دعوة كهذه . . . ومع ذلك لم يفارقني احساسي بأنني احلم الا حين هتف باسمي صوت اليف هو صوت صديقة لبنانية لمحتني في الشارع رغم الزحام .

ليلة ١٤ تموز باريس قارب ، ربانه مجنون . وبحره هائج ، وركابه ثمالى ! . . حين رموا بالالعاب النارية والفراقيع تحت اقدامي استيقظت جيدا . . حين هاجمني احدهم بقناعه المرعب صرخت خوفا وشمت بي هو ورفاقه ضاحكين (كم هو مريح ان تجد عذراً لتصرخ بملء حنجرتك في الشارع احيانا !) . واخيرا وجدتني اجلس على مقعد حجري في ساحة النجمة بباريس . (تذكرت) بحنين موجع بيتي العتيق في ساحة النجمة بدمشق وصرت ادندن اغنية فيروز : « يا هوى يا اهل الهوى خدني على بلادي » . وبدأت اتأمل ما يدور . . .

مرت بي جماعة من الشبان العرب تغني : يا جارة الوادي ! . . لقد خرج غرباء باريس من كل الشعوب الى الشوارع وكل يغني على ليلاه ويحتفل على طريقته ، ويخرج

Akhawia.net

عقله الباطن ليرقص في الشارع بحرية . . او يبكي !

شاب صيني الملامح كان اكثر الجميع هيجانا . كان مزودا بذخيرة من الفراقيع وبشحنة هائلة من الرغبة في تخويف الجميع . . . اقترب من فتاة فرنسية حسناء في ثوب مختصر مفيد ، وبدأ يتحسس ظهرها ويقول لها : لماذا لا ترتدين ثيابك في هذا الطقس البارد ؟ وهربت الفتاة من شغبه ومعها رفاقها الشبان الصغار . . . وتعب الصيني الملامح من تحويل « ساحة النجمة » الى « ساحة حرب » ، فجلس الى جانبي على المقعد ليستريح . كانت الاقنعة والزمامير والفراقيع تتدلى من جيوبه ورقبته ووجهه في حالة « يوفوريا » ، فقررت ان صورته تصلح للتعبير عن حالة باريس ليلة العيد . . . وحين سألني بكل عذوبته الممكنة السؤال التقليدي : من اي بلد انت ؟ قررت ان الفرصة سنحت لانقض عليه بالكاميرا والفلاش . وقلت له انني صحافية واود تصويره . . .

وكأنني شهرت عليه قنبلة يدوية . امتنع . وامتقع وخاف وطارت الخمرة من رأسه وبدا في حالة رعب حقيقية . قال : لا . ارجوك . لا تصوير . لا تصوير . لا اريد متاعب . . .

ـ ولم المتاعب؟ من حقك ان تجن قليلا في اوقات فراغك . هل انت صيني ؟ ياباني ؟ كوري .

قال : انا ايراني (وكانت ملامح وجهه التي لا يمكن تزويرها تشهد بأنه غير ذلك) . واعترف بانه من بلد (ثوري) ، وانه بالتالي يخاف من نشر صورته ومن سفارته . . وختم اعترافه بالهرب فورا مني ! . . . اولئك الاطفال الثوريون . لماذا يظنون ان الضحك والمرح هما ضد الثورية ؟ وهل الثورية ضد الطبيعة البشرية ؟ اولئك الذين لم يفهموا من الثورية غير قناع عابس متجهم يسيئون لها اكثر من اية حملة دعائية منظمة ضدها . . .

والمفجع ان اكثر الادباء عندنا الذين يحتكرون كتابة « الفن الثوري » يكرسون هذه الصورة الخاطئة والمتجهمة عن الفرد الثائر . . . يرسمونه ثقيل الدم جسده تابوت متحرك من الجدية المبالغة والهم المقيم . . . يرسمون الضحك خطيئة والحب تفاهة والمشاعر اليومية العادية وردود الفعل البسيطة خيانة وطنية ! . .

واجتاحتني اصوات الذين ينشدون احتفالا بتحطيم الباستيل وكل ما ترمز اليه تلك الثورة من تحرير للانسان . . . وتساءلت ترى متى يتحرر الانسان حقا ؟ . . متى تستحق البشرية عيدا ؟ . .

Akhawia.net

باريس ،وفن العذوبة

بعد ليلة الجنون تلك ، تستعيد باريس رشدها . . . وعذوبتها . .

وبعد لندن ، المدينة الشديدة الزحام والشراسة . تبدو باريس وديعة كقرية كبيرة . . . والناس فيها اقل جنونا وعدوانية وسكانها اقل عددا بثلاث مرات على الاقل . . . ففي السنوات الاخيرة صارت المناطق السياحية بلندن اشبه بمتحف للامراض العقلية . في ساحة البيكاديللي مثلا تمر بك وجوه تظنها خارجة للتو من المشرحة ، ترى على الرصيف رجالا زرق الوجوه كأنهم ماتوا منذ ساعات ولم يلحظ احد ذلك ، يعبر بك اشخاص يتحدثون لوحدهم ، والكآبة الحادة كالسكين تقطر من شفاههم ! في لندن دكان قرب شارع الستراند اسماه صاحبه Smile shop اي « دكان الابتسام » كان مقفلا طيلة اقامتي بلندن ، ربما صار مقفلا الى الابد . . . في عدد الدايلي ميرور يوم ٩ - ٧ - ٧٤ كتب احد القراء محتجا على حال الفتاة الانكليزية وقال : « فتيات اليوم قاسيات العيون خشنات اللهجة » . ولكن نسي ان حال الرجال ليست افضل ! . .

باريس تحاول ان تزايد على لندن في مجال الابتسام للسائح ، وفي الشانزليزيه دكان وضع على واجهته لافتة تعد المشتري بابتسامة وتقول : البائعات في دكاننا سعيدات ويبتسمن !! . . . (ولكن بائعاته كلهن من جيل الحرب الاولى !) . .

وباريس ما تزال تتقن فن العذوبة . في الفندق ما تزال تجد على فراشك غطاء عتيقا نظيفا من الدانتيل وتلك اللمسة الصغيرة الصغيرة التي تميز بين عالم الالة ، وعالم الحنان . . . ولكنها لمسة حنان تنقرض ، فقد تصادف ان ركبت واصدقائي في تاكسي سائقته حسناء جدا . وفكرت في ان اسألها عن مضايقات الرجال لها ، لكنني حين سمعت صوتها وهي تستفسر منا عن وجهتنا . وكيف تقطر ملامحها رجولة حين تتحدث بصوت اجش كأصوات المكنات الحاسبة صرفت النظر عن السؤال ، بل كدت اسألها سؤالا معاكسا !! . . .

السؤال الذي يطرح نفسه بشراسة في اوروبا هو : ألا تستطيع المرأة العاملة ان تحتفظ بعذوبتها ؟ . . . ام ان طبيعة الحياة والعمل لا بد ان تبدل من صفاتها النفسية وحتى البيولوجية ؟ هل العذوبة في المرأة غريزة حقيقية مثل النعومة في جلد القطط ، ام انها صفة مكتسبة مرافقة لايام عبودية المرأة حين كان عليها ان تتزلف للرجل كي يطعمها ؟ . .

Akhawia.net

بشاعة ديغوليـة

وعلى ذكر الافتقار الى العذوبة والذوق ، لابد لي من تسجيل بشاعة مطار شارل ديغول الجديد الذي افتتح منذ اشهر واشادت وسائل الاعلام في وصف روعته وطبلت له الاقلام وزمرت . انه بشع بشع .

عندما تدخله تحس انك سجين احشاء حيوان جهنمي من حيوانات الفضاء . . . لا ريب في ان مهندسه مهم ومشهور ، ولكن ذلك خارج الموضوع !! . . . انه مطار يحاول ان يكون مستقبليا ، كله ابراج وممرات وقباب شفافة ، ولكنك تحس انه لا علاقة له بفرنسا التراث والفن . . . انه مطار اميركي جدا وليس فرنسيا ، واذا هبطت فيه دون ان تعرف اين انت فلن تحدس ذلك ابدا فليس فيه شيء فرنسي غير اسمه ! . . .

البـوم والاماتيست

نجم الموسم في باريس هو البوم .وبعد ان كان رمزا للتشاؤم صار الان (بورت بونير) التفاؤ ل . تجده على اغلفة كتب الاطفال ، وعلى ضفاف السين بشكل لوحات ، وفي دكاكين المفروشات بشكل (بيبلوه) غالي الثمن ، وبشكل آنية للزهور او وعاء للمظلات او بشكل بروش من الماس والبلاتين . . . ذلك الطائر السيء السمعة استطاع اخيرا اقناع البشر بأنه ليس هو المسؤ ول عن مآسيهم وشرورهم ! ونجم الموسم الثاني في باريس هو احجار الاماتيست بكل صورها . . . والاماتيست حجر طبيعي شبه كريم ، يوجد بشكل صخور بلورية شفافة ذات الوان ساحرة بنفسجية او ارجوانية وهو نوع من انواع الكوارتز المتعدد الالوان من بيضاء شفافة او ذهبية او مخضرة وغيرها . . وفي باريس اليوم دكاكين متخصصة ببيعه كما تجد بعض الحلى الرخيصة نسبيا المصنوعة منه ، ولا يخلو ديكور واجهة (بوتيك) في باريس من احجاره ، ويستعمل لجلب الانتباه الى بقية البضائع ! . . .

اللبنانيون موجودون بكثرة في باريس ، بصورة خاصة عند الارصفة بين الشانزليزيه والاوبرا ، ويقربهم من باريس اتقانهم للفرنسية بالاضافة الى عظمة باريس فنيا وتراثيًا ، وحتى نسائيا (لمن يفضل ذلك) . . .

موضـة حـواء

ذهبت لشراء مايوه ، فاخرجت لي البائعة قطعة قماش بحجم طابع البريد يتدلى منها خيطان وقالت : ١٠٠ فرنك . سألتها : ولكن اين المايوه ؟ قالت : هذا هو المايوه ! . .

Akhawia.net

ففي العام الماضي قررت القطط الباريسية الاستغناء عن النصف الاعلى من البيكيني ما دامت القطط لا ترتديها ، وهذا العام قررن العودة الى (التراث) وذلك بارتداء زي حواء الاسطوري على الشاطىء وتوفيرا للمصاريف تكفي الخيطان لربط (المايوه الرمزي) ! . . وفي « الكوت دازور » اجتاحت الموضة اكثر الشواطىء ، واجتاحت صور العاريات اكثر الصحف ، ومن المتوقع ان تغلق نوادي العراة ابوابها بعد ان انتفى مبرر وجودها ، وصارت « سان تروبيز » نفسها ناديا واحدا كبيرا للعراة .

مسرح أزلي

شوارع باريس هي باستمرار ديكورات عريقة للكوميديا الانسانية التي تدور على ارصفتها وفي مقاهيها وخلف نوافذها . . . وانت تستطيع ان تجلس في مقهى الرصيف لتتأمل حولك عشرات المسرحيات الازلية ولا يكلفك ذلك اكثر من ثمن فنجان قهوة ! . . . ولكن اغراء المسرح الباريسي الليلي لا يقاوم خصوصا حين يكون قلبك حزينا والمسرح ساخرا . . .

وفي مسرح (دورساي) ذهبت لمشاهدة فرقة (السيرك السحري الكبير) وهي تقدم احتفالا مسرحيا بعنوان « من موسى الى ماو » . . . وكما هو واضح من العنوان ، تروي المسرحية ابرز الاحداث التاريخية والانسانية من موسى الى ماوتسي تونغ بأسلوب يكشف السخرية الفرنسية الرائعة . . . ويقول المؤلف انه يروي احداث مسيرة البشرية كما يمكن لطفل ان يراها (اي لعين جديدة = عين فنان) ، وطوال مدة المسرحية يضحك الانسان من نفسه ، ومن احداث التاريخ ، ويرى كل شيء بعين هزلية ويضحك كثيرا بحزن .

والمسرحية كرست اهتماما كبيرا للسخرية من الاميركان ، ومن الواضح ان الفرنسيين لا يحبون الاميركي ولكنهم يحبون الدولار ، وهم في مسرحهم ينفسون عن (اعجابهم) باميركا . . . وقد انسحبت سائحة عجوز اميركية ثرية كانت تجلس في المقعد خلفي وتتحدث قبل بدء المسرحية بصوت مرتفع جدا عن مغامراتها العاطفية منذ الايام الغابرة لعذريتها ، وقد انسحبت منذ الفصل الاول احتجاجا على السخرية من الاميركان واراحتنا منها . . . ومن تاريخها الجنسي ! . . . لا تترك المسرحية شيئا لا تسخر منه . . . من موسى الى المسيح (الذي تظهره المسرحية مشاغبا وميالا للعنف حتى انه يصر ان يوكل اليه دور الجلاد الذي سيقطع رأس فرنسا بالمقصلة !) الى فرنسا نفسها ، حيث يحكمون بالاعدام على رمز الجمهورية (تمثل دورها امرأة تشبه تماما صورة المرأة التي نراها على العملة الفرنسية وترمز للحرية !) ، ويسخرون من العلماء كفرويد وقروده ، وانشتاين

Akhawia.net

ونسبيته ، ومن رجال السياسة ونجومها كالقيصر الروسي وابنته المزعومة الاميرة انستازيا ، ونابليون (الذي يمثل دوره قزم) وجوزفين ، ولا ينسون رجال الفن والادب ، فحكاية شوبان وجورج صاند العاطفية الشهيرة تثير الضحك . . . نضحك من كل شيء : انسان العصر الحجري وانسان الذرة ، ومن الصينيين ، والرومان ، مصرع يوليوس قيصر ، والهنود الحمر ، والصليبيين ، وجان دارك ، ومن فولتير وبلاط لويس الرابع عشر (حيث يتركز نشاط فولتير في مسح مؤخرة ملكه !) ، ثم سقوط الباستيل . . ولعل من اطرف المشاهد مشهدا كرس للسخرية من راقصات التعري - (الستربتيز) - حيث تظهر احداهن وهي تتعرى كما في الملاهي واخيرا حين تخلع كل ثيابها باغراء مبالغ به ، وتأتي اللحظة الحرجة وتتعرى تماما لنكتشف انها رجل ! . . . ولا تنسى باريس الضحك من الحروب العالمية والعسكريين والبيض والسود والنعيم والجحيم وسارة برنار وكل ما يخطر او لا يخطر بالبال .

في هذا الاستعراض المسرحي الممتع ، يلحظ المتفرج انه بدأ يألف العري التام على المسرح . . . ففي مسرحيتي (هير) ثم (اوه كالكوتا) قامت ضجة هائلة لظهور الممثلين عراة تماما للمرة الاولى على المسرح . . اما الان فيبدو ان العين الاوروبية قد الفت ذلك تماما والسرير الموضوع بين صفوف المتفرجين (كامتداد للمسرح) حيث يمارس بعض الممثلين والممثلات الجنس اثناء المسرحيةيلفت اهتمام الغرباء فقط بينما يتابع الجميع المسرحية التي تدور على مصاطب مختلفة موزعة في القاعة باهتمام موزع ومتساو ويظهر الممثلون (رجالا ونساء) في اكثر المشاهد عراة تماما ، ولكن ذلك بدأ يصير امرا مألوفا تماما وجزءًا من تقاليد المسرح الغنائي الراقص الحيوي الايقاع . . . ولعل (احدث) ما في المسرحية هو ما يصيب الجمهور من الممثلين الذين يقفزون بين المقاعد متنقلين على مصاطب العرض المتعددة . . . واحيانا ينسجم الممثل في دوره إلى حد مرعب ، فقد هجم احدهم وهو يرتدي قناع دب على فتاة تجلس الى جانبي وبدأ يخنقها وهي تصرخ ولم يعرف احد فيما اذا كان يقصد مداعبتها ام انه انسجم في دوره اكثر مما يجب . . . اما الفراقيع التي استخدمت لتمثيل الحرب ، فقد شكلت سحابة كثيفة في جو القاعة اسالت دموع المتفرجين وصاروا جزءا من المشهد الباكي عن الحرب والضاحك ايضا . . . وقد سقطت بعض الاسماك على رؤوس الحاضرين واستقر حذاء احد الممثلين في حضن الشاب امامي واما القطة المذعورة التي استعانوا بها في احد المشاهد فقد استقرت اظافرها في ساق امرأة مجاورة . . . ونجوت انا بأعجوبة . . . وحين انتهت المسرحية كان المتفرجون

Akhawia.net

يهنئون بعضهم بعضا على سلامتهم من العرض المجنون !

ليست فكرة المسرحية وحدها هي الممتعة ، والتي تلقي بنظرة مدهشة السخرية على تاريخ الانسان الهزلي جدا حين نفكر به بعين فيلسوف لا معقول الرؤيا للوجود ، بل ان حيوية المسرح الفرنسي واسلوب الفرقة في العطاء وفي مد الخشبة على طول الجمهور وجعله ممثلا في المسرحية هو ابرز ما في تلك السهرة الفرنسية . .

ويبدو ان هذه الفرقة المسرحية لا تتلقى من وزير الشؤون الثقافية اية معونات ، ولذا فان الممثلين يوزعون قبل البدء بالمسرحية منشورا فيه بطاقة بريدية راجين كل الذين أرضاهم العرض المسرحي ان يبعثوا البطاقة بالبريد الى الوزير المسؤول عن توزيع المعونات الرسمية . وتقول البطاقة :

سيدي الوزير . لقد اضطررتني لدفع ٥ فرنكات اكثر مما يجب ثمنا لبطاقتي في « السيرك السحري الكبير » . وبما ان سبب رفعهم للاسعار هو انك لا تمنحهم اية معونات رسمية مادية ، لذا ، يمكنك ان تزيل الغبن الذي لحقني بأن ترسل لي المبلغ المذكور الى عنواني ادناه ! التوقيع . . .

المتحف الوطني للفنون الحديثة أم الجنون ؟!

في المتاحف الفنية ، احاول دائما ان انظر الى لوحات المشاهير بحياد ، دون ان اسقط تحت سطوة الاسم الكبير . في المتحف الوطني للفنون الحديثة بباريس وقفت مثلا امام بعض لوحات بيكاسو وسألت نفسي بحياد : لو وجدت هذه اللوحة في السوق بدون توقيع معروضة للبيع بسعر معقول ، هل كنت اشتريها ؟ وبدون خجل كان الجواب : لا . فيها تقنية حاذقة تفوق لمعة الابداع وهو امر لا احبه عادة ! . . . بيكاسو احبه في « المرحلة الزرقاء » فقط .

توقفت طويلا امام اعمال بيكاسو وبراك ، وبلا خجل تساءلت : ترى هل تبقى اعمالهم كلها في المتاحف بعد عصور ام يغربلها التاريخ ؟ . . . توقفت امام اسماء كبيرة لمشاهير ، ولم احس بالكثير امام اعمالهم ، ظللت خارج اللوحات لاهي تقتحمني ولا انا اقتحمها ، ولم اجد سببا للخجل من اعلان ذلك . . . شيء واحد يجعلني اتحفظ قليلا في موقفي من اكثر اعمال الفن (التجريدي) ، وهو موقف بعض المثقفين السلبي من بعض الاعمال التي خلدت فيما بعد وكان ذنبها الوحيد هو انها سبقت عصرها . . . فهل هذه اللوحات التي تبدو لي مليئة بالضجيج الفارغ وفقاعات الغضب هي اعمال خالدة وسبقت عصري وانا التي اعجز عن تذوقها ؟

Akhawia.net

هذا ما لا يمكن ان يؤكده أو ينفيه الا الزمن ، وأجيالٌ اخرى . . .

وربما لن يكون علينا ان ننتظر اجيالا اخرى بعيدة . . ومنذ الآن بدأت تظهر في الوسط الفرنسي الفني المثقف ردة فعل ضد (تأليه) بيكاسو ، وبدأت نظرات نقدية حيادية تعبر عن رأيها في بعض اعماله الاخيرة دونما خجل من اسطورته الكبيرة . . وفي عيد متحف « الماغت » الفرنسي العاشر ، اجتمعت نخبة من الفنانين الكبار ومعاصري بيكاسو الذين لا يقلون عنه اهمية في تأثيرهم الفني على عصرهم امثال كالدير وميرو ، وعبرت زوجة ميرو عن موجة اعادة تقييم بيكاسو حين اعلنت « بيكاسو نفسه اعترف ذات يوم بأنه رسم ثماني لوحات فقط ، وكل ما تبقى من رسومه كان مجرد اعادة وتكرار . . لقد كان مقلدا ماهرا لنفسه ! . . لقد اصبح بيكاسو عبقريا فنيا وهذا خطأ . هنالك رسام جيدولكن ليس هنالك رسام معصوم » . . (عن مجلة النيوزويك العدد ٥ آب ١٩٧٤) .

وتنقلت بين اعمال شاغال ورؤوسه الطائرة في الفراغ ، وكاندينسكي وخربشاته وماتيس ومنحوتاته ورسومه . . . وهنا لا بد لي من ملاحظة ثانية . . . وهي انني احببت اعمال اسماء غير مشهورة عالميا اكثر بكثير من اعمال (النجوم) الذائعي الصيت . . احببت مثلا اعمال راؤول دوفي وبونار وفويار وماركيه ولوس وقدرتها وفضلتها بما لا يقاس على اعمال ماتيس المكرسة عالميا . . ومما لا شك فيه ان (النجوم) صناعة علاقتها بالفن غير وثيقة او على الاقل غير اكيدة دائما . . . مايكل انجلو مثلا اعتقدت بعد ان شاهدت اعماله ان شهرته العالمية هي اقل مما يستحق . . انه اكبر عبقرية من العبقرية . . يخيل الي ان اعادة تقييم (النجوم) في الفن عمل ضروري كل مئة عام (اي بعد انقضاء قرن على الاقل على وفاة النجم) .

تابعت تجوالي في المتحف الشاسع واحببت بعض الاعمال الحديثة ، وكل ما احببته كان لاسماء نصف مشهورة . لفت نظري بيكابا في بورترية من المرحلة الدادية . عين شاسعة برموش واخرى بلا رموش (هي التي استوحى منها مخرج فيلم « البرتقالة الالية » صورة بطلة دون الاشارة الى المصدر !) . .

سلفادور دالي من الرسامين الذين يكتبون بالرسم ، ولوحته « استحضار صورة لينين » هي بيانو كل اصبع فيه هو وجه لينين .

لوحة لروي اسمها « يوم في الريف » ، رسم فيه كأس نبيذ هائل الضخامة وبيض واطعمة مختلفة بحجم كبير ، بينما القلاع والقصور صغيرة في ركن الصورة . فالبطن يأتي اولا ! . .

Akhawia.net

بيلمير صنع تكوينا لامرأة فيه اعضاؤها التناسلية تغطي الجسد ، اما الرأس فمقطوع وملقى باهمال . . . انها صرخة فنية ذكية من اجل انسانية المرأة . . .

جياكوميتي من المشاهير القلائل الذين احبهم ، والمتحف غني بأعماله ذات الطابع الخاص الاصيل .

وتتوالى الفظاعات والاشياء الجميلة (ولكن من هو المؤهل ليكون حكما ؟ كل ما اكتبه هو بالنتيجة انطباعي الشخصي) . هنالك مثلا لوحة لفنان اسمه بوي وهي عبارة عن نتف من الخيش الممزق ملصق على هيكل لوحة .

هنالك لوحة لرينهارد كلها سوداء تماما . هنالك لوحة لبيشوب كلها بياض تماما . هنالك لوحة لروتكو اسمها « غامق فوق البني » وهي فعلا لون غامق فوق بني شاسع !

ولكن لا بد من ومضات تحبها بين الحين والاخر . هنالك مثلا عمل اسمه قاطعة التذاكر يمثل امرأة داخل (الكيشيه) على مدخل مسرح ، وينطق بالعزلة والحزن والكآبة المعاصرة .

هنالك ايضا اعمال لفنانة رائعة اسمها « انيت ساجيه » مختصة بتحنيط العصافير الصغيرة ، ثم غرسها بالمسامير على طول لوحة اسمها : سكان البنسيون ! . . .

وعصافيرها بشر مسحوقون يرتدون التريكو والبلوزات الانيقة ولكنها دوما تصلبهم من القلب بسكين او مسمار . . . الى جانب اعمالها هنالك اشياء اخرى تحار في تصنيفها . . . ادراج بداخلها طائرات من الورق وسكة حديد من الطين وجمجمة من المعجون وقد غرست فيها مجموعة من المسامير .

فن أم قرف ؟!

هنالك علبة (بسكويت) اسمها « لحظة من حياة كريستيان بولتنسكي » وفيها قطعة من (فضلاته الجسدية) ! . . . (الفنان الايطالي مانزوني عرض في متحف الفن الحديث بروما « فضلاته » بعد ان عبأها في علب كونسروة خصيصا للسياح الاميركان ، وعلى جدران المتحف صورة في مرحاض بيته اثناء ممارسة « عملية الخلق » هذه) .

جنون ؟

ارمان قدم لوحة ركب فيها حوالي ١٠٠٠ لمبة مختلفة الاحجام والاشكال من لمبات الكهرباء المنطفئة ! . . . هنالك (فنان) آخر الصق على لوحة خشبية ضخمة كل (كراكيب) المطبخ وآنيته الصغير كأنه يحاول ان يقول لنا : الحياة مجموعة تفاصيل توافه صغيرة (فهل قالها ؟ . .)

Akhawia.net

هنالك دراجة عادية ولكن لها جناحا فراشة ، واجنحتها الزجاجية الشفافة هائلة الضخامة تبلغ حوالي ٥ امتار طولا ! . .

هنالك عروس ضخمة ، هائلة الضخامة المفروض انها في ثوب الزفاف ، وجهها وجه مومياء وشعرها من قش فزاعي الطيور وجسدها خرق ومفكات وبراغي وسحالي وبقايا لعب اطفال مرشوشة كلها بالكلس الابيض ! . .

وتمر بما تظنه جهازا لاطفاء الحريق ، ثم تكتشف انه تركيب لفنان حديث هو رينو . . .

تأتي الى لوحة بيضاء كتب فيها الفنان في امكنة مختلفة : شجرة . بيت . نافذة . طائر . . . ولم يرسم هذه الاشياء كلها في مواضعها !! .

هنالك تكوين رائع من البرونز للفنان ارنست فيه سخرية من الملوك القدماء ، فللرجل رأس ثور ضخم القرنين ، والمرأة مهرجة ، وصولجانه وجه عفريت .

تتابع الرحلة داخل سراديب المتحف . تلتقي برجل عصري الزي مفتوح ومشروح من الاعلى الى الاسفل وقد اندلقت امعاؤه . لا تخف . انه تمثال ! . . .

هنالك ايضا خوذات عتيقة مهروسة مع مداخن سود .

بعدها تلتقي بفنان رائع المنحوتات هو جونزالس ، في اعماله حزن شفاف والتصاق بفلاحي بلاده ، واجمل اعماله صورة امه ـ التراث . تخطف انتباهك ايضا منحوتات زادكين واورلوف وجارجالو الذي نحت رأس بيكاسو وابدع . . .

وقد ختمت جولتي في المتحف امام تكوين لسيزار بالداتشيني هو عبارة عن سيارتين معجونتين معا في حادث اصطدام ، وخرجت من المتحف وقد اصاب رأسي بعض ما اصاب السيارتين ! . .

الناي الافريقي في باريس

اكثر ما هزني في باريس شاب ملامحه تدل على انه من شمال افريقيا (المغرب . تونس . ليبيا ؟) ، وكان يعزف على ناي شرقي وقد وقف في احد سراديب المترو . . . وكان صوت الناي شفافا وعذبا وحزينا ، وحملني بعيدا بعيدا الى عوالمي الحقيقية ، وملأ قلبي بغصة الشوق والحنين . . .

ثم وصل المترو ، واطبق بفكيه عليه . . وضاع الصوت . . والصدى ؟

Akhawia.net

روما ٢٦/ ٨/ ٧٤

بائعة بنفسج على ابواب الليل !

« إن من لم يشم زهرة قط ، لم يتأمل نجمة ، لم يحب ، لم يفعل شيئا في حياته سوى جمع الارقام والحسابات . . . شخص كهذا ليس انسانا . انه طحلب ! . . » (من « الامير الصغير » ـ سانت اكزوبري) . وكان شارع الاناقة في باريس ـ « فوبور سانت اونوريه » ـ مليئا بهم ، ببشر من فئة الذين لم يتأملوا نجمة ، ولم يشهقوا مرة حبا ، ولم يحتضنوا زهرة ، وجيوبهم منتفخة بالنقود ، وبدفاتر الشيكات لحالات الطوارىء ـ وجولة شراء ثياب في « السانت اونوريه » هي طبعا حالة طوارىء قصوى ! . .

كنت اتسكع في ذلك الشارع . لا أتأمل الدكاكين ذات الاسماء الشهيرة جدا (كاردان ـ ديور ـ لابيدوس) وانما اتأمل المشترين ، وكان بينهم عدد هائل من العرب ، وكنت مثل بائعة البنفسج على ابواب الليل ، اتأمل ما يدور دون ان تكون لي اية علاقة بعالمهم المرعب . . . ولاحظت اقبال العربيات على شراء الثياب التي تحمل توقيع احد مشاهيرمصممي الازياء . « ايشارب » بشع الالوان يدفعن ثمنه مبلغا خرافيا لمجرد ان احد ربابنة الموضة الاوروبيين مهره بحرف واحد من اسمه ! . . جميل اقبال المرأة العربية على الاناقة ، ولكن لا علاقة بين الاناقة وشراء البشاعات الغالية الثمن لمجرد انها تحمل توقيع مبتكرها . والرجال يشترون « كرافتاتهم » بمبالغ باهظة. ويحرصون على ان يكون « التوقيع » ظاهرا ، فالتوقيع بالنتيجة بمثابة ارتداء « الكرافته » وقد كتب عليها سعرها ! . .

وفي اسواق روما لاحظت الشيء ذاته اي اقبالا عربيا على بشاعات أزيائها لمجرد ظهور الامضاء بشكل بارز تمكن رؤيته في اعتم علب الليل . . . (وتذكرت قول اوسكار وايلد : « الموضة هي نوع من البشاعة الى حد ان المرأة تضطر الى تبديلها كل ستة اشهر ! ») .

هذا الهوس بشراء الثياب الموقعة يعني شيئا واحدا : الرغبة في استعراض الثراء والقدرة الشرائية .

اقتراح : لماذا لا يعلق كل ثري عربي معقد او « نوفوريش » على صدره بطاقة تحمل

Akhawia.net

رقم ثروته في البنك ، ويريحنا من هذه البشاعات ويريح زوجته من ارتداء الفراء والمجوهرات والثياب المهورة بامضاء المشاهير ، والتعبير عن ذاتها بملابس بسيطة وأنيقة ولا يشترط أن تكون ثمينة ؟!

ألا تشعر اكثر زوجات الاثرياء في بلادنا انهن لسن اكثر من مجرد عارضات لطاقات ازواجهن الشرائية وعضلاتهم المالية ، وربما كان ذلك هو السبب الوحيد لاصطحاب الزوجات الى الحفلات الرسمية الساهرة ؟ ! .

واذا كانت بطاقة صغيرة برقم الثروة لا تكفي ، يمكن ان يجعلها السيد الثري من « النيون » الملون كما في اعلانات سهرات « اضواء المدينة » او واجهات الحانات الملفتة للنظر . . . وتضاء بالبطاريات في الجيوب !

* * *

لا ادري ماذا دهى الناس في اوروبا ! ففي زيارتي الاولى للندن منذ اعوام ، ذهلت اعجابا امام احترام الفرد للقانون . وبالنسبة الى السائح كان هذا الاحترام يتجلى بشكل خاص في التزام قانون المرور . وذات ليلة كنت اركب « التاكسي » في لندن في الساعة الرابعة صباحا ، والشوارع خاوية ، وكان السائق يقف امام اشارات الضوء الحمراء ولا يتحرك الا حين يضيء الاخضر وقلت له يومها : لماذا تتوقف امام الضوء الاحمر والشارع فارغ امامك ، والمدينة كلها نائمة ؟ »

قال : « ولكن القانون لا ينام يا سيدتي ! »

كان ذلك منذ اعوام . . .

اما اليوم فيبدو ان القانون ذهب في لندن ليتعاطى المخدرات مع الهيبيز وينام ليل نهار . السيارات تخالف اشارات السير ، والمارة يتسللون بين السيارات كأن اضواء المرور الحمر والخضر وضعت لتنظيم سير الحمام اللندني لا البشر . وحده الحمام لا يخالفها . اما الناس ففي فوضى اين منها فوضى ساحة البرج في بيروت .

الامر نفسه ينطبق على باريس وروما وكل العواصم الاوروبية التي زرتها مؤخرا ، حتى انني لم اشعر بالغربة ابدا من هذه الناحية اذ كانت فوضى السير شبيهة بما يجري في بيروت . وكل آداب المرور التي تعلمناها (بمعجزة) نسيناها في اوروبا . . . ماذا حدث ؟ لا ادري ! كل ما اذكره ان سيارة اجتاحت طفلا بجانبي على جسر نهر التايبر في روما وقذفت به الى النهر وظلت منطلقة ، بينما وقفت انا ارقبه يغرق ويموت في القاع البعيد وقد انعقد لساني وجسدي . ملعونة هي الحضارة الالية التي تخترع السيارة قبل ان يكون

Akhawia.net

الانسان قد تطور انسانيا ليكون على مستوى هذا الاختراع . . .

وما دام الانسان وحشا ، فستظل كل سيارة مجرد رشاش متحرك مستمر الطلقات ولا احد يدري متى تصيبه منها طلقة !

وحلمت ليلتها انني احمل سيارات العالم كلها ، واحدة واحدة ، لارمي بها في نهر التايبر . . . واستيقظت مهدمة كما لو انني مارست ذلك حقا !

* * *

ايها الشقي ،

امام بركة تريفي بروما وقفت ،

والى جانبي اكثر من سائحة تنفذ وصية الاسطورة : ترمي بقطعة نقود في البركة وتغمض عينيها وتهمس باسم حبيبها ثلاث مرات . . . (تقول الاسطورة ان من ينادي حبيبه امام هذه البركة لا يفقده ابدا . . . وتتحقق امنياته) . . .

اما انا ، فلم ارم في البركة بقطعة نقود . اجز رأسك ايها الشقي عند العنق ، وارمي به في الماء . . .

Akhawia.net

روما ٢٩/ ٨/ ١٩٧٤

مدينة التاريخ تبيع ماضيها ! . .

روما . . . اخيرا روما . . .

واطوي مظلتي التي ثقبتها امطار الصيف اللئيمة في اسكوتلندا ولندن وباريس . . .

وتفتح شمس البحر الابيض المتوسط ذراعيها وتضمني حارة ، ودية . . وتهب من مدخل روما رائحة بيروت . . . واغص بالحنين . . . وفي مدخل روما يطالعني ذلك الهرم الصغير . . . واتذكر آثار مصر المسروقة على مر العصور ، المنتشرة في متاحف اوروبا كلها ، والمسلات الفرعونية الضخمة التي طالما شحنتها بواخر نابليون ثم الانكليز وصلبتها في شوارع مدنهم . وسألت الايطالي المجاور في الباص : وهذا الهرم الصغير ، سرقتموه بأكمله من مصر ام ترانا هبطنا خطأ في الجيزة ؟ قال ضاحكا : لا ، هذا من صنع ايطالي محلي . وقد اتم بناءه عام ١٢ قبل الميلاد القاضي في محكمة الشعب كايوس سيستيوس الذي حلا له ان يدفن فيه . . . مزاج !

وكررت كلمته مزاج . (وفكرت في انني اتمنى ان يكون سقف قبري شفافا كي ارى الشروق ، وشمس الظهيرة ، سقوط اوراق الخريف ، وطلوع القمر الحزين خلف سحب الشتاء) . . .

وفي الطريق من المطار الى قلب روما تجد نفسك في نزهه سياحية مجانيه ، فانت تمر بكثير من معالم روما الاثرية الهامة كـ « الكوليزبوم » ونصب النصر وبعض الكنائس القديمة الجميلة ، امثال « سانت بول اوتسايد ذي وول » .

والواقع انك مهما جهدت للهرب من التاريخ في روما فلن تستطيع . ومهما كنت حريصا على عدم الثقافة او الاحتكاك بالفن ، فان الفن سيحاصرك ويطل عليك من نافذة اي فندق تقيم فيه ، واي شارع تسير فيه ، واية ساحة تجوبها بنات الليل . . .

فروما عجينة التاريخ المخبوزة في فرن الزمن والعراقة . . .

ستحس بالالفة في روما ، فمزاج الناس مشابه لمزاجك ، اي انهم عصبيو المزاج وعاطفيون ونزقون طيبو القلب وثرثارون مثلي ومثلك . . . وسائق « التاكسي » لا بد وان

Akhawia.net

يروي لك قصة حياته وهو يوصلك إلى الفندق . . . وسيرويها بالانكليزية أو بالفرنسية او بالايطالية سواء فهمت ام لا ! المهم انه سيثرثر . . . ولن تشعر بالغربة التي تحسها مع سائق « التاكسي » البريطاني الذي يعاملك كما لو انه كان ملكاً تنازل عن العرش قبل نصف ساعة ! . .

ولكنك ستحس في روما ايضا بالدهشة والسحر . . فالابداع طاقة لا تخمد ، تتفجر من التماثيل المزروعة في الشوارع ، وتجد نفسك اسير عظمتها . . . ولا تملك الا الانجراف في رحلة الركض وراء الجمال في روما . . . وقد تقودك الرحلة الى خارج روما ، الى فلورنسا وحتى البندقية في اقصى الشمال . . . فاذا احببت مايكل انجلو مثلا ، ستجد نفسك مثلي مسافرا الى فلورنسا لترى المزيد منه . وفلورنسا تجرك الى البندقية . . . والبندقية تجرك الى الافلاس والعودة الى بلدك عطشا كمن شرب من ماء البحر . . . ولم . . .

التسكع . . . فن

في اكثر من مدن الدنيا التسكع استرخاء الا في فيينا وروما . فالتسكع دورة دراسية فنيه . . . فاذا خرجت مثلا تتسكع في « الفيافينيتو » او « شارع الحمراء » في روما ، وانحدرت قليلا في الشارع حتى ساحة برنيني ، فستجد نفسك امام البركة الرائعة التي نحتها برنيني الخالد عام ١٦٤٠ وفيها اربع اسماك تحمل صدفة يخرج منها كائن خرافي ينفخ في بوق فيخرج الماء من مزماره . . . واذا ذهبت لشراء الهدايا قرب « بياتزا نوفانا » فسوف تنسى كل شيء عن « الشوبنغ » وتجد نفسك امام عمل عظيم اخر من اعمال برنيني اسمه الانهار ، وستطالعك ايضا بركة المغاربة امام كنيسة اثرية متميزة في فنها المعماري « بوروميني » . واذا تابعت المسير على غير هدى فستظل تصطدم بالانصاب التذكارية الرائعة المشيدة على مر العصور . . . وسترى نصب « فيتورياني » (اي النصر) مطلا عليك من قمة تل « الكابيتولين » . الادراج العتيقة ستطاردك ، وستتسلق قدميك ـ أي الادراج ـ فتقودك الى الكنائس الاثرية حيث تسمع موسيقى باخ على الارغن تنهمر كالمطر المضيء لتغسلك . واذا ذهبت بحثا عن « الهيبيز » في روما (مركز تجمعهم الرئيسي في « الدرج الاسباني ») فستجد نفسك امام تحفة فنية من نوع شرقي الايحاء . . . فالبركة اسفل السلم لها شكل قارب حجري (باوهامك تبحر به الى حيث تقذف بك ريح الشوق ـ اسمها نافورة . . الزورق القديم وهي من اعمال فلورنتين برنيني) ، ثم تقودك الازهار على جانبي السلم ، وفي ذورته تطالعك روما ، تنفتح امام عينيك كوردة حارة . وتتأمل

Akhawia.net

« الهيبيز » . . . لا شك ان بينهم موهوباً واحداً او مبدعاً واحداً ، فقد كان هذا الدرج دوما نقطة جذب « للهيبيين » والمبدعين منذ قرون ، وقد سكن « الهيبي » شيللي مع صديقه « الهيبي » كيتس في البيت المطل على الدرج هاربين لفترة من صقيع انكلترا ودخل اسمهما في المعاجم مع لقب « الشاعرين الخالدين » .

هل سمعت ببركة « تريفي » ؟ البركة التي يفترض ان ترمي فيها بقطعة نقود ثم تهمس بأمنيتك فتتحقق ؟ بعيدا عن القيمة العجائبية للبركة ، فانها آية من آيات النحت ، وقد حققها المثال الروماني نيقول سالفي وتتفجر منها مياه « ينبوع العذراء » ، وتدور حولها اساطير تعود بأصلها الى القرن الاول قبل الميلاد . . . هذه هي البركة المفضلة لدى العشاق ، ومن المفروض ان من يذكر اسم حبيبه امامها لا يضيعه ابدا . . . (لي صديقة جربت ذلك ، فتشاجرت مع حبيبها امام البركة وافترقا !) .

مايكل انجلو . . العظيم

حتى ولو كنت قد زرت « السيستينا » في الفاتيكان من قبل فستجد نفسك ذاهبا كالمنوم لزيارتها ثانية ولرؤ ية عمل فني فريد ليس في تاريخ الفن ما يشبهه ابداعا ومثابرة . . . مئات الامتار المربعة على الجدران والسقف (السقف وحده ٥٢٠ مترا مربعا) تصور حكاية البشرية ، وكل مليمتر مربع منها مدينة ابداع . . . خلدها مايكل انجلو وخلدته . . . واذا كنت لم تشاهدها فسوف يرغمك الدليل على الذهاب اليها . . . ولن تندم . استغرق رسم القبة اربعة اعوام (بين ١٥٠٨ و ١٥١٢) واستغرق رسم الجدران ستة اعوام ! . . وداخل « السيستينا » ، تجد السائح الاميركي التقليدي الذي يدخل بسرعة ، ويجيل نظرة عابرة على الجدران والسقف (اللذين استنزفا عشر سنوات عذاب من العبقري الذي رسمها) . ويصرخ السائح الاميركي مهرولا وهو يلقي نظرة عابرة) « اوه . . كم هذا جميل ! » ثم يلتقط لنفسه صورة تذكارية داخلها ، ويتابع سياحته مهرولا . المهم ان يخبر الجيران في كاليفورنيا انه شاهد « السيستينا » ويعرض لهم صورته بالالوان في المصباح السحري بينما هو يلتهم « البوب كورن » و « الهامبرغر » بـ « الكتشاب » ! . .

والى جانب السائح الاميركي التقليدي الذي ينظر الى الاشياء دون ان يراها او ينفذ الى داخلها ، ورغم ذلك يشهق باستمرار اعجابا (اوه ! . . بيوتيفول !) ، تجد عشاق الفن الحقيقيين . يجلسون ساعات يتأملون الدقة في الخلق الفني ، وتلاميذ الفن يتعلمون من ريشة مايكل انجلو وصبره الكثير ، ويعودون في اليوم التالي برقاب متشنجة العضلات

Akhawia.net

لكثرة التحديق في السقف . (شاهدنا جانبا من حكاية رسم مايكل انجلو « للسيستينا » في فيلم « العذاب والنشوة » تمثيل شارلتون هستون) .

هل اتابع ؟ . . .

ما جدوى ذلك ؟ انك لا تستطيع ان تصف الابداع ، ولكنك تستطيع ان تصف اثره عليك ! . .

الموسيقى يجب ان تُسمع لا ان يقرأ عنها . اللوحات يجب ان تُرى لا ان يكتب عنها . التماثيل يجب ان نتحسسها بعيوننا وننصت لحديثها لا ان نسمع وصفا لها . فلأكتف بهذا المقدار ، وان كان كل ما ذكرته هو غيض من فيض . ففي روما الشاسعة تحف فنية كثيرة تنتظر تلامذة الفن وعشاقه . . .

وكلما زرت روما ازداد سقوطا تحت وطأة الاحساس بأن سكانها الحقيقيين هم التماثيل ، وانهم اكثر حياة من سكانها المعاصرين ، وحياتهم اعمق واخصب واغنى انسانيا . . . وكلما زرت روما ، وسقط الليل ورحل سكانها الى مدن النوم ، وجلا الساهرون عن شوارعها ، احس ان حياة اخرى تخفق في ليلها ، وان التماثيل فيها تعيش ، وتتحرك ، وتمارس حياة مليئة بالكثافة والخصب السري ، وحينما امشي ليلا في ازقتها اسمع التماثيل تتهامس والمحها تركض واحس بقشعريرة نشوة خوف وانا اتحرك مع ظلال المدينة المسحورة . . . ليتني اقدر على سماع اغنية التماثيل في روما ، وتسجيل همساتها ! . . ليتني استطيع التقاط انشودة الينابيع المتفجرة من جراح الليل ! . . ليت الحجر يصادقني ويسمح لي بالنفاذ الى داخله الحي الحنون ويروي لي قصص مبدعه الحقيقية ! . . ولكن . . .

الجيتار . . . وأغنية مجروحة

لا تخف . ليست روما كلها مدينة حجرية لعشاق الاثار . . . انها مدينة عصرية لعشاق الحياة ايضا ، الحياة بابسط معانيها واكثرها استرخاء : الموسيقى في الشوارع . . والضحك . . . والجنون . . . والاكل الايطالي المشبع بجوزة الطيب والبهارات وكائنات البحر ، وخمرة العنب الايطالي الملوحة .

وتجد احياء بكاملها مكرسة لذلك ، ولكنها ترغمك على ان تحس اصالة روما وعراقتها .

ففي ازقة رومانية قديمة ، منعت السيارات من الدخول اليها ، تجد مركزا رئيسيا من مراكز الجنون . في « سانتا ماريا تراستيفري » تجد احياء رومانية قديمة ، ارضها بلاط قديم

Akhawia.net

كما في الشوارع الرومانية القديمة كلها وابنيتها كذلك شبه اثرية من عصر النهضة الاوربية (الرينيسانس) لكنها ما تزال مأهولة وحسنة الصيانة ، وقد تحولت ازقتها بأكملها الى مطاعم . وفي الليل يبدأ الجميع بالغناء مع عازف الجيتار وهو يغني ، ويبكي احيانا وهو يغني . فهو ابن حوض البحر المتوسط حيث العاطفة جزء من التنفس والبكاء امتداد لاغنية القلب . . . وقد يمسح احد السياح الانكليز دمعته سرا ، وتجهش بالبكاء صقلية وتصرخ « اه » فاتذكر سميعة ام كلثوم في بلادي ! . .

وتجد نفسك مساقا لتغني مع الجمع (وقد تبكي ايضا) ، وتتذكر المثل الشهير « حينما تكون في روما تصرف كما يتصرف الرومان » ! وتطبيق هذه القاعدة يريحك كثيرا ، ولكن حذار من التهام الاكلتين الشعبيتين الايطاليتين ، « البيتزا » و « السباغيتي » ، لأن روما لا تجيد طبخهما !!

السينما بدل المسرح

في لندن ، وفي باريس اظل قادرة على ملاحقة حركة المسرح لان حاجز اللغة لا ينتصب بيني وبينها حائلا . . . اما في روما ، فان معرفتي بالايطالية لا تتعدى حوارا (بالاشارة) مع الجرسونات والسائقين ورجال الشرطة حينما اضيع في حي ما وانا مستغرقة في التسكع ! واخرج منه غالبا وقد فهمت عكس المقصود . مرة مثلا ، في الفندق ، دخلت الى غرفتي حرباء كبيرة جدا (حرباية ـ حردون) ، فخفت منها كثيرا وطلبت بالتلفون ان يرسلوا لي من يقتلها ! . . وفوجئت بهم يرسلون لي شخصا كأنه من « المافيا » او القتلة المأجورين ، وفي ظنهم ان هناك من يحاول قتلي او انني اريد توظيفه لقتل احد ! . .

المهم ، اجهل كل شيء عن المسرح الايطالي المعاصر ، وكنوع من التعويض اذهب الى السينما . . . وفي روما اربع دور سينما متخصصة في عرض الافلام الناطقة بالانكليزية والفرنسية منها (سينما « سان سابا » ، وثانية في حي « التراستيفري » وسينما « ارخميدس ») وغيرها ، وفي احداها شاهدت فيلما قديما لشارلي شابلن اسمه « مسيو فردو » . كان شارلو العظيم رائعا فيه ، ومثل دور الاب الحنون والزوج الوفي والقاتل المحترف في الوقت ذاته . . . وكان من الاوائل الذين صرخوا بملء فمهم : « في عالمنا المجنون ينجو المجرم الكبير من العقاب ، ويسقط فريسة السجن المجرمون الصغار . » وعلى بعد امتار من الفاتيكان شاهدت ايضا مسرحية « يسوع سوبر ستار » بعد ان تحولت الى فيلم سينمائي ، وكانت الصالة مليئة بالزبائن وتجار الروحانيات يحصدون الملايين من

Akhawia.net

جوع الشبيبة الاوروبية الى اليقين . . . وشاهدت المسيح على الطريقة « الهيبية » على بعد امتار من الفاتيكان !!!

اما عن المسرح الايطالي فلم اشاهد غير المسرحيات الصامتة التي تدور في الشوارع . منها مثلا مسرحية شارع « فيا فينيتو » كل ليلة بعد الساعة الحادية عشرة . تخرج سبع فتيات ، بعضهن جميلات ، ويقفن لبيع اجسادهن على الرصيف المواجه للسفارة الاميركية (مصادفة؟!) . ويدهشني الحوار الودي جدا الذي يدور بينهن وبين رجال البوليس . . . كأن بين الجلاد والضحية علاقة جوهرية ، اذ ان وجود كل منهما ضروري لوجود الاخر ! . .

وهنالك مسرحية اخرى تلفت الانظار . . . ففي روما ، بين ساحة اسبانيا و«فياديل كورسو» ، حي من الاسواق ، تمنع السيارات من الدخول اليه . . . وقد فرشه التجار بالسجاد . . . ووضعوا في زقاق اخر مجموعة من المقاعد الخشبية تحميها المظلات وتحيط بها اصص الازهار . يوم الاحد ، حين تغلق المتاجر ابوابها ويمضي اصحابها وزبائنهم من الاغنياء الى اجازاتهم ، يتحول المكان الى سوق للفقراء العشاق ، يجلسون على المقاعد الخشبية مجانا لساعات ولا يرفعون رؤوسهم الى المتفرجين امثالي الا للاستراحة بين قبلة واخرى ! . .

اما « فيلا بورغيزي » فانها تذكرك يوم الاحد بحديقة « الهايد بارك » في لندن . . .

فقد تحولت الفيلا الفخمة الى متحف ، وصارت حديقتها الشاسعة حديقة عامة لابناء الشعب . ترمي بجسدك الذي قدده برد اسكوتلندا الى العشب ، وتترك الشمس تجتاحك والفرح ينمو عليك كعشب سري . . .

في روما تظل اللغة حائلا بيني وبين الالتحام بها ، واحس المدينة مثل حبيب لا اعرفه جيدا لكنني اعي ايقاعه ولدي حس غامض بنبضه ، اتسلل واسبح داخل شرايينه الحميمة رغم كل شيء !

سوق العتيق

تعمل روما طيلة ايام الاسبوع ، ويوم الاحد تخرج لتبيع ماضيها . . .

ويتحول شارع « التراستيفري » صباح الاحد من ارصفة عادية الى سوق تضم كل شيء وتبيع كل شيء حتى السحر . . . فالى جانب اللوحات والتماثيل والاثاث وادوات المطبخ هنالك ايضا « بسطة » ساحر يرتدي ثيابا غريبة كأنه خارج من احد كتب الخيمياء في العصور الوسطى ، وقد استعان بالتكنولوجيا في صورة آلة عجيبة غريبة هي بين

Akhawia.net

« صندوق الفرجة » و « الكومبيوتر » . . . والمفروض انه يستطيع ان يكشف لك عن حظك وماضيك ومستقبلك ، وبحفنة من الدولارات تجده مستعدا ليحدثك عن مستقبل الكرة الارضية كلها والكواكب ايضا ! . . وهذه هي المرة الاولى التي ارى فيها « ساحر البسطة » واحس انه عجوز « صندوق الفرجة » القديم ، ولكنه تكيف مع الزمن وتطور فتزود بآلة الكترونية المظهر ، وغما حسه التجاري فصار يحدثك عن مستقبلك بدلا من ان يحدثك عن ماضي ابي زيد الهلالي والمرحومة عبلة حرم عنتر ! . .

واذا اوغلت مسيرا في « التراستيفري » ثم انحرفت الى اليسار نحو جادة « بورتابورتيزي » فستجد نفسك امام مشهد طريف جدا . . . ستجد سوقا نادرة من « الانتيكات » . . . كل ما يخطر بالبال من « انتيكات » واشياء قديمة . . . والسوق طويلة طويلة ومليئة باشياء لا تحصى . وقد قررت ان اسجل لمدة دقيقتين كل ما تقع عليه عيني ، واليكم هذه القائمة العجيبة من الاشياء القديمة والالات ذات « الموديلات » التي كف الناس عن استعمالها والتي وضعت جنبا الى جنب حسب الترتيب الاتي : آلة حاسبة . قديس . يوليوس قيصر معتقا . ثريات . تلفزيون . اسماك . اسطوانات . نباتات . سلاحف . ساعات . زجاجات كازوز موديل قديم . كرسي . زيتون . ترمس . « اوبالين » . جوز هند . قش . اثاث منزلي من القصب . اثار رومانية . خشب منحوت . صور اسرة قديمة . « فازات » . ارنب . العذراء . عقود . منخل . مشواية فحم . كاز . شمسية . المسيح . قوالب حلويات . شهادة تخرج جامعية تاريخها ١٩٠٠ . غاريبالدي . قفل باب ومزلاج . عداد امبير . نمر . مغسلة . طربوش . احذية . نباتات « كاكتوس » (صبير) . شتلات . حقائب . مجلات قديمة فوقها المسيح . صوف . عملات قديمة . طوابع . ماكنة خياطة . جلد تمساح . « غرامافون » . مكواية فحم . سجادة . مبخرة كنيسة . بوق . جيتار . سيف . ازرار . سرير طفل مكسور . مكاييل ميزان . كومة لعب عتيقة كجثث مهترئة . . .

وشعرت بالدوار . . . طريف هو سوق « الانتيكات » للوهلة الاولى ، مرعب حينما تتأمله حقا . . . ها هي حياة الناس اي حياتك انت ! تخرج من قبور الماضي ، وتتكدس على الارصفة عارية فتراها كما هي في حقيقتها ، مجرد تفاصيل صغيرة تافهة مهترئة . . . هذه هي حياتك فقط لا غير : مجموعة « كراكيب » . وكل ما تبقى الفاظ يخترعها الشعراء ليسبغوا على الحياة اليومية البشعة ، المرعبة الروتين ، صورة لماعة براقة .

وشعرت انني اسير بين قبور مفتوحة . . . وانفتحت حقيبة ايامي وتناثرت محتوياتها

Akhawia.net

على الرصيف امامي : اسطوانات . « اتوغرافات » . صور . عقب سيجارة . ثقاب محترق . محبرة . قلم مكسور . ازرار . شال . علب ادوية فارغة . تنك بيرة « هاينيكن » . رسائل بللها المطر . . .

وهربت من زقاق « الانتيكات » مذعورة بينما وقف سائح اميركي يتصور على اشلائي وهو يشهق باعجاب : « اوه . . وندرفول ! »

Akhawia.net

٢/ ٩/ ٧٤

كيف تزور فلورنسا دون ان تراها !

لـــذيذة هي اللحظـــات التـــي ينطبـــق فيهـــا قول الشاعـــر « وتعطلـــت لغـــة الكلام . . . » ،ولكنها تستحيل الى كابوس حـين يحـدث لك ذلك في احـدى محطـات السكك الحديدية في روما مع الموظف العجوز المختص الذي لا تعرف لغته ورغم ذلك تحاول الاستعلام منه بغير « لغة الكلام » عن كيفية السفر الى فلورنسا وامكانيات الاقامة والتكاليف ، وغيرها من التفاصيل التي وجدت « لغة الكلام » اصلا لاجلها فقط . . .

ودفعني فشلي الى قبول عرض موظف الفندق : « لماذا لا تذهبين اكسكيرشـــن ، اي في باص سياحي متخصص بهذا النوع من الجولات ، يأتي ليلتقطك من باب الفندق ويذهب بك الى فلورنسا وكل الاماكن الرائعـة ، مع بقية السياح ، وفي رفقتـكم دليل يتحدث بكل اللغات ، ثم يعيدك فيما بعد الى الفندق » ؟

وقبلت بلا نقاش ، وكيف لي ان اناقش وانا لا اعرف من الايطالية غير كلمة « سي » اي « نعم » ؟ ! .

* * *

نمت ليلتها احلم بفلورنسا ـ فلورنسا العظيمة ، عاصمة ايطاليا الى ما قبل قرون ، ومركز هام في عصر النهضة ـ واحلم باعمال الفنان الخالـد مايكل انجلـو ، و بآثار آل مديتشي ، وبالمدينة التي يخترق قرميدها نهر ارنو منذ عصور (قرأت كتابا عنها واكتشفت انني اريد ان ارى اشياء كثيرة صرت اعرف مكانها بالتحديد) . . . وحلمت ايضا بالباص السياحي . تخيلته يركض في ريف ايطاليا وسط الخضرة القاتمة والضحكات وعزف الغيتار والنظرات تنضج تحت اشعة شمس البحر المتوسط . سنكون قبيلة ضحك وفرح وغناء ، وسنرحـل الى عظمـة الماضي ونعـود ممتلئين غبطـة وثـراء انســانيا . وحلمـــت . . . وحلمت . . .

* * *

في الصباح الباكر فوجئت بان الرحلة لن تطول اكثر من يوم واحد ثم نعود ليلا . قلت لنفسي : « اذا لمْ نضع وقتنا فسنكون قادرين على رؤ ية الكثـير » . وفي البـاص

Akhawia.net

فوجئت بان اكثر ركابه من الذين تجاوزوا سن الشباب منذ دهور . وعـزيت نفسي بان السن ليس عقبة بين الانسان والاستمتاع بالحياة . ولكنني فوجئت بأنـني محاطـة بكمية مرعبة من العجائز الاميركيات اللواتي يبدو عليهن الثراء ، ورغم ذلك قررت ان الثراء ليس جريمة ولا داعي لان اكرههن بل ساكتفي بالحسد !

ومضى الباص متأخرا عن موعده اكثر من ساعة . وبدأ الجميع بالتثاؤب ، وحين مررنا بأورفيتو البلدة المسحورة المعلقة بين السماء والارض ، وحلمت انـني اطـير فوق سطوحها ، ايقظني شخير الياباني خلفي . وسقطت من حالـق الى ارض الواقع . . .

اما الدليلة الكريمة فقد استعاضت عن شرح تاريخ ايطـاليا بشرح تاريخ اسمهـا هي ! (واسمها باتريشيا بالايطالية وبياتريس بالفرنسية) وغرقت في ثرثـرة عائلية حول اسمها الخالد ، فقررت ان اهرب الى النوم انا ايضا . حتى الشمس لملمت ثيابها الذهبية عن الحقول ومضت لتنام وخلفتنا لصيف شتائي . . .

* * *

في الثانية عشرة ظهرا وصلنا الى فلورنسا . اخيرا فلورنسا ! اطلت المدينة بقرميدها المعتق وعراقتها ، ومنذ النظرة الاولى احسست انني امام صندوق مقفل يضم كنـوزا . ونسيت كل شيء عن بشاعة الطريق وسماجة الـدليل . وتساءلـت ترى من اي متحف نبدأ ؟

وجاء الجواب سريعا : « سنذهب بكم الان الى معمل للجلود يصنع حقائب يدوية واشغالا جلدية جميلة لتشتروا منها ما تحبون » ! من روما الى فلورنسا لنتسوق ؟ ! . طبعا هناك صفقة بين شركة السياحة اياها وصاحب المعمل (ربما كانوا شركاء !) وسكت على مضض .

وتوقف الباص امام دكان الجلود ، فهجمت العجائز الاميركيات وقد استللن دفاتر الشيكات . وفوجئت بأن الكنيسة المواجهة للدكان هي مدفن مايكل انجلو بكل ما فيه من اعمال فنية نفيسة ، فتسللت مع « الاقلية الغاضبة » الى المدفن واسترقنا بعض النظرات الى ما يفترض اننا جئنا اصلا لنراه : شاهد قبره الذي نحته بيده ولم يكمله وهو تمثال بديع رغم انه غير كامل النحت .

بعد ان افتتحت شركة السياحة زيارتنا لفلورنسا بزيارة لمصنع الجلود ، حملنا الباص الى ساحة مايكل انجلو التي تشرف على المدينة باكملها . يتوسط الساحة تمثال دافيد لمايكل انجلو (نسخة طبق الاصل عنه لان النسخة الاصلية في المتحف) . سمحوا لنـا بعشر

Akhawia.net

دقائق من اجل ضرورات التصوير ، فهجم السياح على كاميراتهم وعلى التمثال . . .

وتأملت التمثال . نحته مايكل انجلو حين كان في السادسة والعشرين ولم ينجزه الا وقدجاوزالثلاثين . واراده رمزا للجمال والقوة . التمثال يمثل شابا يحمل في يده مقلاعا في اللحظة التي تسبق اطلاق الحجر ـ لحظة ما قبل القتل ـ وكانت تعابير وجهه حية ومذهلة . وفجأة طارت حمامة وحطت على حجر المقلاع كأنها تقترح عليه الاقلاع عن العنف ! جميل هو حوار الطيور مع التماثيل ، حوار الزمن مع الفن . وضحكت وانا ارى الحمامة تقذف بفضلاتها على مقلاعه ومجده . . . حرمني الدليل من خواطري ، ودعاني بحدة لركوب الباص لانني دوما المتخلفة ـ النعجة السوداء في القطيع ! ودوت صرخة : « الى الغذاء » فتهللت وجوه العجائز الاميركيات !

* * *

لم يأخذونا الى سوق فلورنسية عريقة او مطعم شعبي نشتَمُّ فيه مذاق المدينة الحقيقي . حملونا الى مطعم ضخم بعيد فيه مئات السياح ، كأننا في قاووش مصح عقلي ! قضينا ساعتين ونصفاً من يومنا الثمين في المطعم ذي الشخصية الاميركية (اي لا شخصية له) ، وازدادت الكروش انتفاخا ، وسرالجميع بالوجبة الضخمة ، وابتلعوا كميات مرعبة من النبيذ فلم تعد لاحد رغبة في غير النوم .

في الركن كان الدليل وزميلته يتغازلان ، وكانت كنوز فلورنسا لا تزال تنتظر ، وقلبي يتمزق ، فأنا لم اجيء من روما الى هنا (اربع ساعات بالسيارة) لاتناول طعام الغذاء !

* * *

اخيرا ذهبوا بنا الى متحف ، يضم النسخة الاصلية لتمثال دافيد وبعض اعمال مايكل انجلو غير المنتهية . كان الدليل يهرول في الردهات راكضا والسياح يترنحون حوله ثمالى . نصف ساعة فقط ثم الى الباص من جديد . ثم متحف اخر (بيتي) . كان متحفا ضخما فيه اروع اثار ليوناردو دافنتشي وبوتيتشيللي ورفائيل وانجلو وغيرهم من الاقل شهرة وربما الاكثر ابداعا . كانت الدليلة تهرول ، وحولها شابان يتأملانها بدلا من تأمل اللوحات (اكتشفت فيما بعد انهما لبنانيان !) ، وهي تبدو سعيدة جدا بهذا الغزل الذي لا تستحقه . وحينما وقفنا امام رائعة بوتيتشللي الخالدة (فينوس تخرج من الصدفة) اخرجت هي بطاقتها واعطتها للشابين ! كانت الكنوز تحيط بي من كل جانب . حتى منظر فلورنسا من النافذة ، والجسور العتيقة فوق نهرها ، بدا لي لوحة خالدة . وقفت اتأملها ونسيت

Akhawia.net

نفسي . . . استيقظت على قرع جرس انتهاء دوام المتحف ، وكانت الساعة الخامسة وكنت قد اضعت الجميع . خرجت من باب المتحف وانا سعيدة بضياعي ، وقررت ان ابقى لاكتشف المدينة التي لا نزال منذ الصباح نهرول في ازقتها ، من مطعم الى مقهى ، بلا جدوى . فوجئت بالدليل يعتقلني على الباب ويرغمني على العودة الى الباص بعد ان انتظرني الركاب طويلا . وحين صعدت اليه كانت في العيون نظرات التأنيب . لم اشعر بالحرج ، فانا النعجة السوداء الشاردة عن القطيع ، وقد اعتدت ذلك .

وقررت : « لا ريب في انهم ذاهبون الى مكان مهم وقد اخرتهم » .

وانطلق الباص كالمجنون . واغمضت عيني على القهر . ما ابعد منطق الفن عن منطق التجارة ! ان كل المحاولات التوفيقية بينهما هي ابدا فاشلة .

فكرت : « كيف اكتب لمجلتي تحقيقا عن مشاهداتي في فلورنسا ؟ » من الاسهل علي ان اكتب تحقيقا عن « عدم مشاهداتي » فيها ، وان العن كل المؤسسات السياحية التي ترمي بصنارة الفن لتصطاد الذهب . وكل السذج امثالي الذين يصدقون ان الرحلة الى فلورنسا تعني مشاهدتها !

* * *

توقف الباص . . .

فتحت عيني ، وفوجئت باننا امام مطعم شاسع في مكان ما من الطريق .

وهجمت العجائز الاميركيات ، وفي انتظار الطعام كن يتحدثن عن صورهن مع التماثيل والقديسين وكم سيسر الجيران برؤيتها وروعة الفن في فلورنسا التي لم نشاهد منها شيئا !

ملعونة هي السياحة على الطريقة الاميركية !

* * *

فلورنسا . . .

كحكاية حب لم تكتمل كان لقائي بك ، فخلف في نفسي شهية اكبر الى ان اعرفك اكثر . . . لاحبك حقا واحبك اكثر .

* * *

صباح اليوم التالي وجدني عجوز السكك الحديدية انتظر في مكتبه لاشتري بطاقة سفر الى فلورنسا ، وانا مستعدة للحديث بلغة الكلام او الاشارة ، ما عدا لغة التذوق الفني على « الطريقة الاميركية » ! . .

Akhawia.net

روما ٩/ ٩/ ٧٤

اعلان عالمي لحقوق الحيوان

من جديد عاودني الاحساس بتلك الحركة المريبة داخل الحقيبة الموضوعة بيني وبين جارتي في المقعد الملاصق لي بالطائرة بينما انا أطير من باريس الى روما .

كانت الحقيبة تتحرك ، وتصدر عنها بعض الاصوات ، ولم اكن واهمة . حاولت تجاهل الامر . انها حقيبة صغيرة ولا يمكن ان تتسع لرجل مخطوف ! . . . وانتفضت الحقيبة بعنف ولم تعد اعتبارات التهذيب الاجتماعي واللياقات وعدم التداخل بشؤون الجيران تكفي لردعي عن التحديق بفضول في حقيبة الجيران . . .

وردت على نظراتي نظرات اخرى اكثر فضولا من عينين خضراوين ملتهبتين داخل الحقيبة التي لاحظت ان احد جدرانها شفاف . كانت قطة . واخرجتها ، صاحبتها وهي تقول لي بفخر : انه قط حبشي . تحسسيه . ناعم كفرو النمر . . .

وحين جاء المضيف بصواني الطعام ، كان اللحم الشهي من نصيب القط المرفه . . وأمسكت باحدى الصحف لأتلهى عن المدموزيل وقرينها القط ، وكانت صور الاطفال والبشر الجياع في اواسط افريقيا الوسطى تمزق القلب ، وكان القط السعيد غارقا بين صحني السمك والجبن ! فقط حينما بدأت الطائرة بالهبوط ، اعادته الى حقيبته الامينة ذات الجدران الشفافة لسجنه مؤقتا (فكرت بالاف الرجال السجناء في العالم في هذه اللحظة ، وبزنزاناتهم المظلمة التي تحرمهم مشهد الاشجار والشمس والفراشات. أما صانع سجن القط فلم ينس جعل جدرانه شفافة حرصا على سلامته النفسية . لماذا لا يرق الانسان للانسان فيجعل جدران المعتقلات شفافة على الاقل ، ويخص بذلك الحيوانات المدلله ؟) . . .

* * *

وفي روما كان الطقس حارا وكنت اسير في شارع « فيافينيتو » حين شاهدت الماء يترقرق على الرصيف من سبيل رخامي جميل . . . وبكل عفوية انحنيت لاشرب وفوجئت بضحك المارة من حركتي . لاحظت ايضا ان الماء لا ينزل من السبيل من اعلى الى اسفل ، بحيث يستطيع الانسان (المنتصب على ساقين) الشرب منه بيسر بعد الانحناء قليلا ،

Akhawia.net

وانما كان الماء يخرج من أرض السبيل وبالتالي لا سبيل الى الشرب الا بالركوع على اربع كما تفعل الكلاب ، وتأملت الرخام المنحوت وفوجئت بصورة كلب منحوتة بالصخر ، وبكلمات تدل على ان هذا السبيل موجود خصيصا لشرب الكلاب لا لشرب البشر !! . . .

ودخلت الى اول مقهى ، واشتريت صحيفة « الهيرالد تريبيون » لأتلهى بها عن مراقبة الكلاب المدللة التي كانت تتبختر امامي مثيرة في نفسي بعضا من (الحقد الطبقي) . . . وفوجئت في صفحة الاعلانات بالجريدة بهذا الخبر عدد ٢٨/ ٨/ ٧٤ . . .

اترجم لكم الاعلان حرفيا . يقول : ساعدوا حمارا صغيرا في شدته ! اننا بحاجة ماسة الى النقود لمساعدة الحمير ، لا المرضى والعجائز منهم فحسب ، بل وللاسف لمساعدة صغار الحمير الذين تساء معاملتهم . رجاء ان تساعدوا الان بتبرعاتكم تلك المخلوقات المسكينة المؤثرة الرقيقة . نحن مؤسسة خيرية مسجلة ، ومرخص لها من قبل مجمع الحفاظ على الحمير . عنواننا : انكلترا ـ ديفون ـ اوتيري سانت ماري ـ الخ . . .

وكانت بقية صفحات الجريدة مكرسة طبعا لرواية اخبار كل الفظاعات التي يرتكبها الانسان في حق اخيه الانسان (حروب ـ اغتيالات ـ عنف ـ مصانع اسلحة ـ) او التي ترتكبها الطبيعة في حق الانسان دون ان يتحد النوع البشري لمواجهتها (قحط ـ فيضان ـ زلزال ـ مجاعة) او التي تتم على الصعيد الفردي (قتل . قتل معنوي . ايذاء . مجتمع بورجوازي مدمر لانسانية الفرد) . . وكانت صور القتلى في المخيمات الفلسطينية وجنوب لبنان تحتل مساحة اقل من التي احتلها الاعلان عن الرفق بالاخ الحمار !

* * *

في اليوم التالي وقع بين يدي مصادفة «مشروع الاعلان العالمي لحقوق الحيوان» وهو يكفل للحيوانات الحرية والعمل والراحة وعدم الاسر او الايذاء او التعذيب او الابادة . . . وفيها من الاقرار بحقوق الحيوان اكثر مما في ميثاق الامم المتحدة من الاقرار بحقوق الانسان ! . . .

فأبرز ما يميز مشروع الاعلان العالمي لحقوق الحيوان (الذي قدمه الى اليونيسكو رئيس المؤسسة الدولية للاحياء الانسانية البروفسور جورج هوز) هو المساواة التامة بين الاسد والبعوضة ، وبين النمر والنملة . . . ولم يعط المشروع حق التسلط للاقوى ، ولا حق الفيتو للفيل لمجرد انه اكبر من الفراشة . . . اي ان الاعلان العالمي لحقوق الحيوان لم يتضمن اطلاقا مزيدا من الحقوق للحيوانات المفترسة والاقوى . . . أما في الامم المتحدة

Akhawia.net

(حيث الاعلان العالمي عن حقوق الانسان) فان للدول الكبيرة (اي القادرة اكثر على الافتراس) حقوقا اكثر بعضها معلن كحق الفيتو وبعضها الاخر مفهوم ضمنا (كامكانية استعمال السلاح الذري) . . .

اتساءل ، لماذا يملك الانسان هذا الحس الرائع بالعدالة نحو الاجناس الحيوانية كلها ما عدا جنسه ؟ ام ان عدالة الانسان نحو الحيوان (التي تتصاعد في الاعوام الاخيرة مع تصاعد وحشيته في معاملة اخيه الانسان) هذه العدالة ليست اكثر من حالة اسقاط يمارسها على حيوان ليرشو نفسه وضميره الداخلي ما دام لا يمارسها مع الانسان؟ .

هل موجة الرفق بالحيوان التي تجتاح العالم هي كفارة نفسيه يقوم بها الانسان ـ المرفه المعاصر ، المثقل الضمير بجرائمه النابالمية ضد الشعوب البريئة الامنة ؟ . . .

* * *

ذلك الرجل الذي بنى سبيلا للكلاب في « فيافينيتو » بروما ، تراه ترك ذات يوم رجلا يموت من العطش امام بابه ؟ . . .

Akhawia.net

لندن ٢٨/ ٥/ ٧٥

الفلسطينيون في لندن

انها الساعة الحادية عشرة الا ربعا من ليلة ٢٨ أيار ، وانا جالسة في علبة السردين الخاصة بي في لندن ، حين فوجئت على شاشة تلفزيون « الـ . بي . سي . وآن » بفيلم وثائقي عن الشعب الفلسطيني .

أقول : فوجئت .

هذه المرة الاولى التي ارى فيها وسيلة اعلام غربية تفرد لقضيتنا العربية الاولى مكانا مع مراعاة الحد الادنى من الموضوعية على الاقل .

طالما شاهدت مناقشات في التلفزيون البريطاني حول القضية الفلسطينية ، كل ما فيها قد أعد سلفا لمساعدة « المبارز » الاسرائيلي ، والحكم طرف منحاز فيها لمصلحة الصهيونية ، ويشاركه في الانحياز التوقيت الذي يقصد منه ان تنتهي الندوة دوما حين يأتي دور الفلسطيني للكلام ، والمونتاج الذي لا يتناول دائما أهم ما قاله الفلسطيني . وحتى الاضاءة كانت عادة منحازة ! والنتيجة ؟مزيد من التشويه لحقيقة القضية الفلسطينية .

الليلة ، كان الامر مختلفا مع فيلم توم مانجولد . يبدأ الفيلم بالفدائيين وهم يتلون قسمهم المقدس ، ويخبر المذيع المتفرجين انهم يقسمون على مهاجمة اهداف عسكرية ومدنية في اسرائيل . ثم يسأل « السيد توم » احد الفدائيين : كيف تشعر حين تقتل اليهود ؟ . . وهنا كان جواب الفدائي غير واضح في التسجيل مما اغاظني كثيرا . صرخت في وجه التلفزيون مجيبة : السؤال هو اصلا خطأ . لا احد يقتل اليهود . اننا نقتل الاسرائيليين . ولكن لم يبد على التلفزيون انه سمعني اذ ان المذيع تابع عرض فيلم وثائقي عن مدرسة اسرائيلية حوصر فيها ١٨ طفلا . وبعد صور ندب الاسرائيليات لقتلاهن ، وصور جثث النساء الاسرائيليات الاربع اللواتي قتلن في هجوم فدائي ، نرى فيلما قصيرا يمثل هجوم اسرائيل على مخيم النبطية والدمار الذي احدثوه .

ويقول « الصوت » الذي يعلق على الفيلم الوثائقي : عدد الفلسطينيين يفوق ٣ ملايين انسان منتشرين في العالم كله . ويطل وجه ياسر عرفات وهو يتحدث في الامم المتحدة كاشفا للعالم ـ من اوسع المنابر انتشارا ـ مطامع اسرائيل التوسعية ضد شعبه .

Akhawia.net

ويلقب « الصوت » ياسر عرفات بـ « القائد بلا وطن » .

ثم ينتقل للحديث عن مراكز الابحاث الفلسطينية ونشراتها ومجلاتها ، مما يرسخ في نفس المتفرج الغربي فكرة اقتران العلم والبحث الجاد بعدالة القضية الفلسطينية التي يقاتل الشعب فيها على جبهتين : حرب النار وحرب الفكر ، وحيث يتم التخطيط لهدف البندقية انطلاقا من وعي انساني علمي وموضوعي بقدر طاقة البشر على الموضوعية .

يتحدث الاستاذ ابراهيم الاديب بانكليزية واضحة وجيدة .

ومن لقطات الفيلم الممتازة مشهد مدرسة فلسطينية يتعلم فيها اطفالهم العبرية لانهم ، على حد توضيح الاستاذ ، يهدفون للعيش ذات يوم مع اليهود الذين لا يريد ان يقذف بهم احد الى البحر !

ويهب على وجهي صوت الفلسطينيين وهم ينشدون « بلادي بلادي بلادي » ، وبعد نقلة جيدة من مخيم برج البراجنة يدور الحوار بين « الصوت » وياسر عرفات الذي يتحدث بهدوء محبب الى العقلية الغربية : « اننا نطالب بالعدالة ، وسيجدها شعبي ذات يوم . لدينا أمل في المستقبل » . كما تحدث عن السلام وعن عودة الفلسطينيين الى ارضهم والتعايش مع اليهود .

وبعده تحدث نبيل شعث عن الطاقات الفكرية الفلسطينية وشبابها الجامعي المثقف ، راسما صورة حضارية مشرقة للشعب الفلسطيني الصامد ، مكررا آراء عرفات حول الديمقراطية والحرية والتعايش مع الطوائف كلها .

ثم صورة لمقبرة الشهداء ، وبعدها تطل صورة غسان كنفاني فيما يتحدث « الصوت » عن مصرعه الموجع . ويطل بسام ابو شريف في حوار شرس مع الاسئلة « المتجاهلة » للواقع المر . . ف « الصوت » مصر على التركيز حول مصرع الاطفال «والمدنيين» على ايدي الفدائيين . ويأتي جواب بسام ابو شريف حادا وصادقا : المجتمع الاسرائيلي هو مجتمع عسكري أعد لقتلنا ، وبالتالي ليس في اسرائيل شخص واحد « مدني » .

يتابع « الصوت » تجاهل جوهر القضية ويسأل : هل تقصد ان تقول ان الاطفال هم اهداف عسكرية ؟

يرد بسام ابو شريف : في الحرب لا تستطيع ان تضمن وصول كل رصاصة الى هدفها .

وتتحمس لبسام ، وتصرخ في المذيع : المسؤول الحقيقي عن موت الاطفال في

Akhawia.net

اسرائيل هم آباؤهم الذين يعيشون في وطن مسروق وامهاتهم اللواتي رضين بالوضع في سرير مسروق . ومن واجب الاسرائيليين ان يفكروا في مصير اطفالهم عمليا اذا كان ذلك المصير يهمهم حقا بدلا من تحويل اولئك الاطفال الى جدار مبكى جديد ! . . ويختتم الفيلم برقص شعبي فلسطيني وببعض التدريبات الفدائية على القتال ، ثم ينتهي بمزج اخراجي جميل للرقص والقتال . . .

هنالك ملاحظة أو اكثر حول الفيلم :

١ ـ اصرار المذيع على تسمية الفدائيين بالارهابيين

٢ ـ التركيز غير العادل على عدد القتلى من الاطفال الاسرائيليين والنساء (ولماذا لا تقتل النساء اسوة بالرجال على الاقل في سنتهن العالمية ؟ !) وعدم ذكر مذابح الاسرائيليين وفظاعاتهم في حق الاطفال العرب في اكثر من مكان من مدرسة بحر البقر الى مجازر جنوبي لبنان .

٣ ـ في الدقائق الاخيرة من البرنامج سأل « الصوت » شبلا فدائيا عن شعوره لدى استشهاد رفيقه ، وسمعت الشبل يتحدث بالعربية قائلا : كنا مسرورين باستشهاده لانه سار على الدرب الصحيح كأبيه الشهيد .

لماذا تم تحويرعباراته هذه في الترجمة الانكليزية لكلامه ؟ ! .

يظل هذا الفيلم خطوة جيدة في درب الاعلام العربي عن حقيقة الشعب الفلسطيني والقضية العربية الاولى . . .

ونظل نحلم بأن تساهم الاموال العربية في تنوير الرأي العام الغربي مستخدمة أكثر الوسائل انتشارا لديهم كالتلفزيون . . . و« صوتا » يتفهم قضيتنا بما فيه الكفاية ليبدل وصفه لثوارنا بـ « الارهابيين » ! . .

Akhawia.net

لندن ١٦/ ٦/ ١٩٧٥

بريطانيا تواجه الفقرين : المادي والروحي !!

. . . واخيرا تهبط بك الطائرة بسلام ، فتفك عنك حزام النجاة « الرمزي » الذي تعرف جيدا انه لا يملك لك « نجاة » ، في حال سقوط الطائرة ، غير ضمان وفاتك وانت مقيد الى كرسيك الذي سيتحول الى تابوت مجاني ، وبذلك لن يضيع عليك ثمن بطاقة السفر ! . .

وتنهض وتقرر ان اسمك لن يظهر غدا ـ على الاقل ـ في صفحة الوفيات .

. . . ولا تكاد تهبط على سلم الطائرة حتى تستقبلك لندن بوجه دامع ، غسله مطر رمادي حزين كوجه امرأة فقدت حبيبها .

وتصفعك يد الريح الباردة على خدك الايمن ، فتدير لها خدك الايسر . . . وتصفعك يد الغربة عليه . الغربة ؟ ربما كان مبعثها مساء لندن الرمادي نصف المظلم حيث يطول احتضار الضياء حتى ما يقارب منتصف الليل ، وربما كان الفارق الهائل في درجة الحرارة بين بيروت ولندن : عشرين درجة مئوية تنقلك دفعة واحدة من عالم الدفء الحنون الى انياب البرد المفاجيء .

وتلملم نفسك داخل ملابسك الصيفية ، وتشعر بأنك سلحفاة اضاعت صدفتها ، وها هي تركض عارية في ليل المدن النائية ، واسياخ المطر تصلبها على لوحة مساء الغربة . . .

وتجلس في الباص الذي يقلك من المطار الى لندن ، وتلتفت الى المقعد الخاوي المجاور لمقعدك وتقول : « مساء الخير ايتها الغربة » ، فلا يجيبك احد ، حتى ولا « الغربة » . . . لا تجيب كعادتها ! تتلهى بقراءة اللافتات المعهودة . ها هي لافتة جديدة في الباص ، لافتة لم تكن هناك في العام الماضي حين زرت لندن لآخر مرة . ماذا تقول اللافتة ؟ انها لا تقول لك « مساء الخير » على اي حال ، بل تحذرك من « مساء الشر » في حال ركوبك احدى سيارات التاكسي غير « الشرعية » والمندسة على ابواب المحطات . انها تنصحك بعدم استعمالها .

اذن هنالك ايضا سيارات غامضة تتوقف في المحطات الرئيسية لاقتناص الغرباء !

Akhawia.net

ماذا يحدث لهذه المدينة التي كانت ذات يوم مثلا في الامانة والاخلاق ؟ . . يضيق صدرك . تقرر : حين يكون هنالك تحذير تكون هنالك متاعب .

في التاكسي (الشرعي) الذي ترمي بجثتك المتعبة على مقعده الخلفي ، تجد لافتة جديدة تخاطبك بعبوس وقسوة ، كصوت ناظرة في مدرسة للايتام الفقراء ، وتقول لك : كل زيادة في الاسعار يسجلها العداد ليست قابلة للنقاش وعليك دفعها فورا (وخط بالاحمر تحت كلمة « ليست ») . وفي مكان قصي بالتاكسي تجد اللافتة القديمة الترحيبية تقول بود منسي « الرجاء ان تجلس في مقعدك جيدا لاجل راحتك وسلامتك » . وتشعر بان اللافتات الانكليزية الجديدة تخلق في نفسك جوا من عدم المودة . انها تتحداك وتستفزك وتثير شهيتك الى شجار ما . . . تشعر بأن لندن لم تعد تضمك الى قلبها الكبير ، فقد استحال قلبها الى مضخة معدنية ، وعليك ان تستحيل الى قطرة معدنية مصهورة ليتم ضخك فورا الى اول علبة سردين تستطيع استيعابك .

الصديقة اولغا ، صاحبة برنامج « نصف ساعة مع اولغا جويدة » في الـ (بي . بي . سي .) والتي كانت اول وجه حبيب يطالعني في مساء الغربة بادرتني بالتحذير التالي : لن تستطيعي اثناء هذه الزيارة ممارسة هواياتك التشردية كالمشي ليلا وحيدة في ازقة لندن ، فلندن لم تعد التي كنت تعرفينها . هناك خطف وقتل ، والمشي ليلا لم يعد مأمونا حتى من محطة المترو الى فندق قريب . وقلت لها أنني سأذهب الى فندق مجاور للمتحف البريطاني (فندق بونينغتون) فحذرتني من الزقاق المعتم هناك بين محطة المترو والفندق واصرت على استضافتي في ليلتي الاولى . .

وروت لي ان سائق التاكسي العجوز ، الذي يوصلها الى بيتها كل ليلة ، يظل واقفا حتى تضيء انوار شقتها خوفا عليها من مخاطر السلم ! . .

السرقة . . . الجريمة . . . تتصاعد يوما بعد آخر ، وفي اعمدة الصحف تقرأ هذه الايام الكثير عن اخبارها . . . فالفقر الذي بدأ يأكل اطراف « الامبراطورية البريطانية » ، التي سبق لها ان اكلت العالم ، يساهم مساهمة هائلة في تفسخ المجتمع الانكليزي . الفقر المادي والروحي على السواء . وهنالك جرائم مبعثها الفقر المادي ابتداء من اختطاف حقائب اليد وانتهاء بسرقة الاسنان الذهبية من افواه الموتى ، ولكن هنالك جرائم اخرى مبعثها الفقر الروحي واهم محاصيلها جرائم الاغتصاب الغريبة التي يرتكبها مهووسون والتي تستهدف الاطفال غالبا . وقلما تمر فترة من دون ان يلمع فيها نجم سفاح او مهووس ما ، وحاليا الاضواء مسلطة على سفاح اوكسفورد . ومن الواضح ان السفاح

Akhawia.net

مطلع على التنافس الكبير بين جامعتي اوكسفورد وكامبريدج ، ولا يحب ان يكون طرفا منحازا الى اي منهما ، ولذا فقد بدأ بممارسة « نشاطه » في منطقة كامبريدج ايضا . ومن الملاحظ ان هذا النوع من الجرائم ابطاله دوما من الانكليز وابناء البلد ، لا من الاغراب او حتى الانكليز السود .

أين البضائع البريطانية ؟

حين تدخل الى المتاجر البريطانية صرت تفاجأ بأنك تجد فيها كل شيء الا المصنوعات البريطانية ! انك تجد حقيبة صنع الفليبين ، وبلوزة صنع هونغ كونغ ، ومشطا صنع اليابان ، وعبثا تفتش عن الصوف الانكليزي القديم ، لقد انقرض مع انقراض اشياء كثيرة ابرزها الشخصية الانكليزية القديمة . قال لي الغرسون العجوز في مطعم « الويمبي » ، الاميركي الروح والايقاع : « لقد ماتت بريطانيا يا سيدتي . السبب ؟ الجيل الجديد اضحى رخوا ، وليس هنالك ما يؤمن به . . . والذي لا يؤمن لا يعمل ، لانه يظل مهدورا ، زائغا وبلا هدف » .

مرة قال دين اتشيسون وزير خارجية اميركا عن الانكليز : « لقد فقدوا دورا ولم يجدوا بعد دورا آخر » .

وهذا صحيح . . . وهم منذ حوالي ربع قرن يفتشون عن دور لهم والضياع يكاد يفترسهم . وقد ظهرت موجة الهيبيين في اواسط الستينات معبرة عن ضياع احفاد الامبراطورية التي لم تعد امبراطورية ، وخرج ابناء المجتمع ، العسكري الامبريالي العتيق حفاة شبه عراة وقد رسموا الازهار على اجسادهم وعلقوا النياشين الحربية القديمة باستخفاف على سيقانهم وحطموا كل اخلاقيات عوالم الدانتيل والرياء والعصر الفيكتوري . لكن موجة الهيبيين ما لبثت ان انحسرت لانها عجزت عن تقديم البديل لموت المجتمع القديم . . . لقد دمر الهيبيون قيم العالم القديم وطقوسه الاجتماعية والدينية والجنسية لكنهم سقطوا في فخ الضياع والتفكك لعدم وجود فلسفة واضحة متماسكة خلف رفضهم . كانوا مجرد صرخة احتجاج انطفأ زبدها من دون ان يخلف غير الصدى .

لقد دمروا البيت العتيق لكنهم عجزوا عن بناء حتى خيمة في خلاء موت القيم . . . ولعل بريطانيا استفادت ماديا من موجة الهيبيين على الصعيد السياحي ، اذ ان الناس صاروا يركضون الى لندن للتفرج على ذلك الجنون الشاب الجميل المنتشر في الشوارع والحدائق العامة والساحات ، هذا بالاضافة الي ازدهار البيتلز الذين جسدوا ثورة الهيبيين في اغانيهم وعبروا عنها في ثورة مماثلة على صعيد الموسيقى ، مطلقين شعار « مارسوا الحب

Akhawia.net

لا الحرب » . والملكة اليزابيت ، التي علقت الاوسمة على صدور البيتلز ، لم تفعل ذلك اكراما لشعرهم الطويل واظافرهم الوسخة وقمصانهم الملونة وانما سروراً بالعملة الصعبة التي درتها اسطواناتهم وافلامهم على بريطانيا شبه المفلسة .

فبالاضافة الى المستعمرات التي كانت تدر على بريطانيا ذهبا كثيرا توقف مع استقلال هذه المستعمرات ، نجد ان الصناعة التي كانت عصب بريطانيا الاساسي بدأت بالانهيار لاسباب كثيرة . ابرزها ان طبيعة العصر بدأت تتجاوزها . ثم ان بريطانيا تستورد غالبا المواد الخام وتعيد تصنيعها ثم تصدرها من جديد ، لكن العامل البريطاني المشغول حاليا بالاضرابات لم تعد له المهارة التقنية السابقة .

ومهما كانت الآلة متقنة الصنع فانها لا تنجز الكثير اذا كانت اليد التي تديرها مصابة بالضجر والسأم واللامبالاة والرغبة في الهرولة الى اقرب حانة جعة او مكتب مراهنات او مظاهرة . . .

التلفون الذي لا يجيء !

ذلك المساء كانت الشوارع اللندنية موحشة ومظلمة . وكان المصعد في الفندق موحشا ومظلما . وكانت ممرات الفندق موحشة ومظلمة . وكان قلبي موحشا ومظلما . وقررت اجراء مخابرة هاتفية مع بيروت لسماع صوت اليف غير مظلم ولا موحش . وقالت لي عاملة الهاتف : آسفة ! عمال المخابرات الخارجية في حالة اضراب ! وكان قلبي موحشاً ومظلماً فقررت السفر فوراً . . وحين حاولت حجز مكان على الطائرة فوجئت باضراب عمال المطارات !

وكان الليل يزداد ثقلاً على صدري ، فضغطت زر التلفزيون وحين اتضحت الصورة فوجئت بعبارة واحدة لا تتبدل : تعتذر قناة بي . بي . سي . ٢ ، عن البث بسبب اضراب الفنيين فيها !

واذاكان السائح يعاني من الاضرابات العمالية بصفتها مضايقات مفاجئة تخلق له مناخا غير مريح ، فان بريطانيا تعاني منها بشكل يهدد اقتصادها بأكمله . فقلما تخلو امسية تلفزيونية من زعيم بريطاني محافظ ـ في ياقته المنشاة ـ يندب مستقبل بريطانيا اذا دامت الاضرابات على هذا الحال ، ويرد عليه نقابي عمالي مذكرا بارتفاع الاسعار وضرورة ارتفاع الاجور ، ويدور الاثنان في حلقة مفرغة حتى تنتهي مدة البرنامج . . . ولا تنتهي الازمة !

Akhawia.net

لندن ٢٣/ ٦/ ٧٥

« نوستالجيا » ، هربا من خلق واقع جديد يستلهم التراث ! . .

قرب منتصف الليل بثوان . . .

وساعة « بيغ بن » تلملم انفاسها لتئن ١٢ مرة . . . ١٢ شهقة غامضة . .

وسندريللا تخلع حذاءها وتركض هاربة من اميرها . . . الى الابد ؟

وانا في التاكسي العتيق عائدة من المسرح في « شلسي » الى الفندق في حي « ماربل آرش » ، والتاكسي يركض على سور حديقة « الهايد بارك » . . . والليل . . . آه الليل . . .

الليل اللندني العتيق . . . كان شفافاً ونقياً ، السماء شبه مضيئة فوق اشجار الهايد بارك ، والصمت النسبي رقيقا حنونا يحمل في طياته اصوات الماضي شبه المسموعة . . . ونصف المسحوقة .

واتذكر أخي بكثافة وسنواتنا معا في لندن القديمة، لندن ما قبل سبع سنوات واكثر ، هل تبدل كل شيء في لندن حقا ؟ . . . في الليل يبدو كل شيء كما كان ، . . . أما في الصباح ، فتأتي شمس لندن السرية لتواجهك بالحقائق بوضوح مسموم . . .

ففي الصباح ، ايقظتني عاملة الهاتف في السادسة صباحا « لتحول » لي مخابرة مع بيروت سبق ان اجريتها في الليلة السابقة ـ بعد اسبوع طويل من انتظار انتهاء اضراب عمال الهاتف ـ وانتهى الامر . وحين قلت لها ذلك ، لم تعتذر ، بل سألتني : ولماذا لم تبلغيني بذلك ؟ ودهشت ، وذكرتها بأن هاتفي ليس مباشرا وانها هي او زميلتها لا بد ان تكون قد حولت لي المخابرة البيروتية ونسيت تدوين ذلك . وانتهى الحوار عند هذا الحد . واقفلت السماعة وانا اندب لندن القديمة ، لندن الدقة والتهذيب . ايام كان الفرد الانكليزي مهذبا الى حد انك تدوس على قدمه فيعتذر هو عن حشرها تحت قدمك !! . .

ادرت زر الراديو وسمعت المطرب يصرخ : « يا رجل الفضاء ، خذني معك في نزهة للقمر » . ولم اله بل ضممت صوتي الى صوته . وحين هبطت الى فناء الفندق

Akhawia.net

سلمتني الموظفة رسالة . كانت فاتورة تحمل رقم غرفتي من المفروض ان ادفعها . هذه هي التحية الصباحية في الفنادق الكبيرة بلندن : فاتورة عليك ان تدفعها كل يومين ، وبعبارة اخرى ، رسالة صباحية تشكك بنزاهتك يوميا . وذهبت لدفع الفاتورة . وقفت في صف طويل مزعج ، واخيرا وصلت الى الموظفة المختصة بالقبض . وبدأت اوقع لها شيكات سياحية . فتأملت توقيعي وقالت مشككة وبلؤم : « هل تستطيعين التوقيع على الشيك كتوقيعك الاول ؟ بلؤم مشابه قلت لها : « لا . لا استطيع ان اوقع التوقيع نفسه مرتين ابدا . لا احد يستطيع » . ثم اكتشفت انني ادفع فاتورة المستر براون ، الذي سبق له ان شغل الغرفة قبلي (على الارجح) والذي تأخر الكومبيوتر (ومن ورائه الموظفة الكسول) في القاء القبض عليه ، فسافر واورثني فاتورته ! . . . هذه الفوضى الكومبيوترية يشكو منها الجميع ، ولندن العتيقة كساعة سويسرية ، صارت اليوم مثل ديك مخبول يصيح في غير اوقاته ! . . . وقد روت لي صديقة انكليزية حكاية تتناقلها لندن عن الكومبيوتر وفوضاه تعبر عما آلت اليه الحال : امرأة عجوز عمرها ١١٢ سنة استلمت رسالة من الكومبيوتر موجهة الى (والدها !) تحثه فيها على ادخالها الى المدرسة الابتدائية ما دامت قد بلغت سن الـ ١٢ (واسقط الكوميوتبر من عمرها ١٠٠ سنة لان الموظفة التي القمته المعلومات لم تلقمه اي شيء بخصوص ما فوق المئة عام !) . . وقد وصلت هذه الرسائل الى (اولياء) جميع المعمرين الذي تفوق اعمارهم المئة لادخالهم مدرسة الحضانة ! .

شيء آخر يصعق عشاق لندن العتيقة امثالي . حين تستأجر غرفة في فندق ، يعطونك بطاقة كبطاقة الهوية ، وعليك ابرازها كلما طلبت مفتاح غرفتك . . . وتشعر بأنك تقيم في معمل لصنع الصواريخ وكل ما حولك يكتنفه الشك والحذر . .

قلت لنفسي : ربما كان هذا الفندق « بماربل آرش » حالة خاصة .

ولكنك تجد اكثر الناس في لندن ـ مصابين باعراض الاستخفاف بالعمل واللامبالاة والتأزم النفسي الغامض . سائق التاسكي يرمي بوجهك قطعة النقود (الاكرامية) اذا لم يعجبه المبلغ ! مستوى النظافة في المطاعم انحدر الى حد لا يوصف . ففي مطعم بـ « اوكسفورد ستريت » يعد مأكل اللحوم على انواعها ، جلست انتظر « الجرسون » المتباطىء وتظاهرت بالانهماك في قراءة جريدتي كما يفعل الغرباء امثالي . . . ثم اختلست النظر الى الطاولة المجاورة اتسلى بمراقبة الناس كي لا اموت غما ، وشاهدت انكليزية جميلة تلتهم طعامها بشهية ، وفجأة توقفت عن الاكل بقرف واشارت لمرافقها الى صحنها وقد

Akhawia.net

انعقد لسانها . وانعقد لساني حين شاهدت في صحنها « صرصورا » حيا يرزق . وكان ذهولي عظيما حين لم يبد الجرسون اي اهتمام بما وقع ، ولم يفسر لها الامر او يعتذر لها ، بل انه ابدى اهتماما بالصرصور اكثر من الزبونة ، اذ حمله واختفى به ! . . . وفي الصحف ، اصبحنا نقرأ اخبارا من نوع جديد عن مطاعم دوهمت لقذارتها (جريدة ايفننغ ستاندارد عدد ٢٧ ايار - مايو ١٩٧٥) وعن اشخاص تسمموا باللحم الفاسد ، كما اصبحت تقرأ في المجلات النسائية تعليمات عن كيفية التصرف في حال التسمم بالطعام الفاسد ، (عدد ١/ ٦/ ٧٥) من مجلة وومنز اون) مما يدل على تكرار هذه الحوادث .

ولم تعد لشارات السير هيبتها السابقة . . والسيارة التي كانت تقف امام الضوء الاحمر بعد منتصف الليل بينما الشوارع خاوية ، اصبحت اليوم تتجاهل النور الاحمر حتى في ساعات الزحام . . . اما المارة فصاروا يزاحمون السيارات وصارت اضواء المرور في لندن جزءا من التراث !

وانتقلت عدوى الفوضى الى المسرح ، حيث كان موعد البدء بأية مسرحية مقدسا ، وكل من يتأخر ولو دقيقة واحدة يضطر للوقوف خارجا حتى نهاية الفصل الاول . اما الآن فصار مألوفا ان يتأخر عرض المسرح من ٥ الى ١٠ دقائق . . .

شيء اخر يضايق عشاق لندن ،وهو الابتذال في الاعلانات التلفزيونية حيث اصبحنا نسمع عبارات امريكية بغيضة مثل (جاش - جي - وغيرهما من علامات التعجب) التي تشوه جمال اللغة الانكليزية المحافظة الاصيلة . . .

الهرب الى الماضي

وحالة الافلاس المادية والمعنوية التي تعاني منها لندن تنعكس في مجالات شتى . . . وقد صور المخرج البريطاني الموهوب « كين راسل » ضياع بريطانيا الحالي في فيلمه الاخير « تومي » واذا كان « كين راسل » قد اختار تسليط الضوء على المأساة ووضع اصبعه على الجرح ، فان كثيرين من الناس وجدوا المواجهة موجعة ، والهرب من الازمة من وقت الى آخر ضروريا . . . ولكن الى اين المفر ؟ طبعا الى ايام انقضت . ومن هنا تفسير موجة الحنين الى الماضي (النوستالجيا) التي تنتاب الناس هنا على كل صعيد، فعلى صعيد الفن ، نجد ان معرض الرومانتيكي الانطباعي « تيرنر » الذي عاش في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن يلقى اقبالا هائلا لا تفسير له غير الحنين الى اجواء الشفافية والصفاء التي رسمها « تيرنر » في مائياته . . .

نذهب الى المتحف البريطاني حيث اقيم المعرض في احدى صالاته لنرى اعمال

Akhawia.net

« تيرنر » الجيدة .

في المتحف البريطاني

تدخل معي . الدخول مجاني . التدخين ممنوع . تتذكر سجائرك ، وتشعر بحاجة كبيرة الى التدخين . تضع لفافة في فمك دون اشعالها لتغيظ حرس المتحف . تنجح الخدعة ، ويسرك ركضهم خلفك بعدوانية ، ثم امارات الخيبة تعلو وجوههم لان اللفافة غير مشتعلة ، وانت قد فوت عليهم فرصة اضطهادك . تنسى (عبثك الطفولي) وانت تغرق في كنوز المتحف البريطاني . المفروض ان تعبر هذه القاعات بسرعة في دربك الى هدفك : معرض تيرنر . لكنك لا تملك الا التوقف امام هذه التحف الفنية والتاريخية . ها هي مصاحف نادرة مخطوطةيرجع تاريخها الى اكثر من الف سنة . ها هو قرآن رائع الخط تحيط بآياته تزيينات عربية بديعة التخطيط . امامها وقفت فتاة يبدو عليها انها مصممة ازياء ، تنقل الخطوط و « الديزاين » والتصميم التزييني الاساسي . تأملت المصحف فوجدته يعودبتاريخه الى عصر المماليك بمصر ، وقد كتب خطوطه « محمد ابن عبد الوهاب » ورسم زخارفه التزيينية « محمد ابن مبادر » . ربما كانت هذه الفتاة احدى معاونات « ديور » او « بيير كاردان » ، وربما كانت تسرق في هذه اللحظة تصاميم رسوم موضة العام المقبل التي سنستوردها وسنشتريها بثمن باهظ دون ان ندري ان صاحبها الاصلي عربي عاش ومات قبل مئات السنين ! . . طوال الدرب المزروعة بالتحف نتوقف حتى لنكاد ننسى هدفنا الاصلي من زيارة المتحف البريطاني هذه المرة ، الا وهو زيارة الفنان « تيرنر » . ونعد انفسنا بالتجول في المتحف بعد رؤ ية « تيرنر » ، ومع ذلك لا نصل اليه قبل انقضاء اكثر من نصف ساعة . . .

مع متحف « تيرنر » ننتقل الى عالم من الهدوء والصفاء والشفافية الانسانية . المكان مزدحم ومن الواضح ان لدى الناس كمية من الجوع الى عالمه البعيد عن تعقيدات المجتمعات الصناعية المتفسخة التي ضلت طريقها في دروب العصر الارعن . . .

نقرأ بعض عناوين اللوحات ، واسماؤ ها كافية لاعطاء فكرة عن مناخ هذا الفنان ذي التقنية الممتازة : اشجار قرب البحر ـ صديقة « بتوورث » وكنيسة « تيلينغتون » عند اخر المدى . « بيلات » يغسل يديه . سفينة في المرسى . جسر التنهدات . امرأتان ورسالة شروق الشمس . قلعة على الخليج . . وهكذا . . . والناس يأتون الى عالمه الهادىء الحنون ، يغسلون عن عيونهم هباب لندن في خلجانه الشفافة ، ويمسحون عن صدورهم بصمات عالم العنف في الخارج . . . كانت القاعة تسبح في نور هادىء شفاف ، وخيل

Akhawia.net

الي انها بلا نوافذ وانني والحضور اسماك متعبة تسبح داخل (اكواريوم) مسحور لعالم حنون خلقه « تيرنر » . . . وحين تذكرت العالم القابع على باب المتحف في الخارج وقد شهر انيابه واظافره بانتظاري ارتعدت ، وهربت الى داخل لوحة من لوحات « تيرنر » هي « خليج بايي » ، وسرت داخل اللوحة ، وفاحت رائحة الارض ، وركضت الى الشجرة وتسلقتها ، وتركت طعم البحر يستولي على حواسي ، والتقيت بطائر ورويت له اشياء كثيرة وهو يحدق بي مشدوها بعينيه الطفوليتين وحين فتح منقاره ليجيبني ، لكزتني سيدة وقالت لي : هل تسمحين ؟ . . وفهمت ان وقفتي طالت امام اللوحة ، وسواي يريد ان يتفرج عليها (او يرحل داخلها ـ كل حسب قدرته على التجاوب مع الفنان) ، وغادرت اللوحة لادخل لوحة اخرى . . .

ان اقبال الناس في لندن على معرض الفنان « تيرنر » هو دليل الجوع الى عالم من الصفاء والهدوء ، والضيق بتعقيدات الحياة المعاصرة وخيباتها .

الاقبال نفسه يلقاه جاليري « عزيزه » بـ « ويمبلدون » ـ لندن ـ حيث تقدم صاحبة الجاليري لوحات لمرحلة ما قبل الانطباعية وكل رساميه من مواليد القرن الماضي امثال « اوغسطس جون » (١٨٧٨ - ١٩٦١) ، « باسيت ويلسون » (١٨٨٨ - ١٩٧٢) « جابرييل فورنييه » (١٨٩٣ - ١٩٦٣) . و « جاليله شيمي » (١٨٧٣ - ١٩٥٦) وغيرهم . . . ان في اعادة اكتشاف اولئك الفنانين وعوالمهم الاقل تعقيدا وشراسة من عوالم الفنان المعاصر المتأزم باستمرار ، نوعا من الهرب النفسي والروحي لسكان مدينة مرهقة حتى الاعياء .

المطرب المفضل : في الستين :

ولعل في « النوستالجيا » اللندنية ، وحنين اهلها الى الماضي يكمن تفسير نجاح « فرانك سيناترا » الهائل في امسيتيه الغنائيتين في (رويال البرت هول) . . . لقد وقف مطرب « غرباء في الليل » بأعوامه الستين ، وبكامل ثيابه وجلال سنه ومهابة خريفه يغني . . . اغنيه هادئة ، حزينة ، لا (بي بي) فيها ولا (هيبية) ولا تمزيق ملابس او نفشاً للشعر الطويل . . . وقف يغني بصوته نصف المتعب ، وكأنه استحضر للجمهور روح أوربا ما قبل نصف قرن . . . وفي قارب اغنياته الشفافة الحالمة ابحر الناس الى الماضي ، وعاشوا من جديد ايام الحب والايمان . . . وانعشت ذاكرتهم اغنياته التي يرجع بعضها الى ما قبل ٣٠ سنة امثال « ضع احلامك جانبا » و « بنفسج » وغيرها . والا ، فبماذا نفسر النجاح الهائل الذي لاقاه امسيتاه اللندنيتان ، مقابل شبه فتور واجهه في بقية محطات

Akhawia.net

جولته الاوروبية ؟ . . . لقد كانت نقاط ضعف سيناترا (السن ـ ذبول الصوت ـ كآبة المظهر) هي نقاط قوته مع جمهور لندن ، الذي سئم جنون العصر ، وبدأ يحن الى ذكريات الاستقرار النفسي والقومي والديني . . .

ماري ويلسون . . . والنوستالجيا

وعلى صعيد الادب نلحظ ردة الفعل « النوستالجية » بشكل واضح عند عدد من الكتاب والشعراء المعاصرين في بريطانيا . ولعل « ماري ويلسون » (زوجة هارولد ويلسون ، رئيس حزب العمال ورئيس الوزراء الحالي) تجسد في ديوانها النوستالجيا البريطانية في انقى صورها الشعرية المليئة بالشفافية . . . وانت حين تقرأ قصائدها ، يصعب عليك ان تحدد العصر الذي عاشت فيه الكاتبة (اذا لم يخبرك احد بذلك) . . وفيما عدا اشارة واحدة الى هبوط الانسان على القمر في قصيدتها الاخيرة ، فاننا لا نجد في اشعارها ما له علاقة بالعصر (كما نجد في اشعار « اليوت » مثلا او غيره من المذبوحين بالمعاصرة) . . . وهذا ليس مدحا للشاعرة ولا ذما . . انه ببساطة تقرير أمر واقع . . . ففي قصيدتها (صفحة ٢٣ من ديوانها) المسماة : « المنزل عند نهاية الغابة » نجدها تقول:

احيانا ، بينما اناضل
عبر غرف مزدحمة بالناس
مزكومة بأبخرة الويسكي والتبغ
وبالاصوات النشاز الكثيرة
كصرخات ببغاء متلاحقة . . .
فجأة ، استطيع ان اراه هناك !
بيتي عند نهاية الغابة . . .
استطيع ان ارى الاجراس الزرق !
استطيع ان اشم عبيره الخاص ،
وضوء الشمس المسائي يرسم خطوطه
عبر بيتي هناك .
عند نهاية الغابة !! . . .

الاشارة الوحيدة في كتابها الى العصر تجيء في قصيدتها « القطار » وهي قصيدة تتحدث عن شجار بين عاشقين في القطار . . . ولكن حتى هذه الاشارة الى العصر نشعر في ايقاعها النفسي انها اقرب الى عصر اختراع الالة البخارية ، اي عصر بريطانيا

Akhawia.net